The North African Journal of Scientific Publishing (NAJSP)
مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي (NAJSP)
E-ISSN: 2959-4820
Volume 1, Issue 2, April-June 2023, Page No: 150-173
Website: https://najsp.com/index.php/home/index

المحاولات العثمانية لفتح القسطنطينية (1299-1453)

معن الطرشي سلطان الجمراوي *
مدرس مساعد، المديرية العامة لتربية القادسية، القادسية، العراق

Ottoman attempts to Conquer Constantinople (1299-1453)

Maan Al-Tarshi Sultan Al-Jamrawi *
Assistant teacher، General Directorate of Education Qadisiyah، Al-Qadisiyah، Iraq

*Corresponding author	mnaltrshy3@gmail.com	*المؤلف المراسل
تاريخ النشر: 2023-04-27 **تاريخ القبول:** 2023-04-22 **تاريخ الاستلام:** 2023-03-26

الملخص

يعتبر فتح القسطنطينية من أهم أحداث التاريخ العالمي، وخصوصًا تاريخ أوروبا وعلاقتها بالإسلام حتى عده المؤرخون الأوروبيون ومن تابعهم نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة. وأما آثار هذا الفتح المبين في المشرق الإسلامي، فنقول لقد عم الفرح والابتهاج المسلمين في ربوع آسيا وأفريقيا فقد كان هذا الفتح حلم الأجداد وأمل الأجيال، فقد أتخذ العثمانيون استراتيجيتين أساسيتين للوصول لهدفهم بفتح القسطنطينية كانت الاستراتيجية الاولى تتمثل بمحاصرة الدولة البيزنطية وعزلها عن العالم المسيحي عن طريق تطويقها شرقاً وغرباً من خلال احتلال المدن والاراضي المحيطة بها، اما الاستراتيجية الثانية فقد كانت مكملة لسابقتها واتخذت شكل الحصار الفعلي وكانت ثمرت تلك المحاولات تكللت بالنجاح عام 1453.

الكلمات المفتاحية: القسطنطينية، التوسع العثماني نحو القسطنطينية، فتح القسطنطينية.

Abstract

The conquest of Constantinople is considered one of the most important events in world history، especially the history of Europe and its relationship with Islam. European historians and those who followed them considered it the end of the Middle Ages and the beginning of modern times. As for the effects of this clear conquest in the Islamic East، we say that joy and jubilation prevailed throughout Asia and Africa. This conquest was the dream of the ancestors and the hope of generations. The Ottomans took two basic strategies to reach their goal of conquering Constantinople. Encircling it from the east and west by occupying the surrounding cities and lands. As for the second strategy، it was complementary to the previous one and took the form of an actual siege، and the fruits of those attempts were crowned with success in 1453.

Keywords: Constantinople، the Ottoman expansion towards Constantinople، the conquest of Constantinople

المقدمة

ان دراسة تاريخ الدولة العثمانية وتاريخ سلاطينها قد أكتنفها الطابع الاسطوري خصوصاً في بدايته والطابع العاطفي فيما بعد، خصوصاً إذا عرفنا إن التاريخ العثماني قد بدأت حركة تدوينه في فترة متأخرة نسبياً وتحديداً منذ عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي طرح فكرة الجامعة الاسلامية التي أثارت أعجاب المسلمين وقتها لذلك نجد أغلب المصادر والدراسات تتناول العثمانيين من جانب عاطفي وديني وليس تحليلي، بل وحتى اعتبار الدولة العثمانية منذ نشأتها على أنها دولة إسلامية، رغم عدم وجود الدلائل حول طبيعة هذه النشأة وهل كانت اسلامية حقاً ام لا، واستمرار الجدل حول فترة إسلام العثمانيين وفي أي عهد اي شخصية عثمانية قد تم ذلك، فالدولة العثمانية كانت دولة مختلطة الاجناس والمذاهب والاديان منذ نشأتها وحتى في مراحل تطورها، ولم تتورع عن استخدام الكثير من الاساليب الوحشية كضريبة الدم التي كانت أساساً لفكرة الانكشارية وكذلك قانون قتل الاخوة وغيرها من الاساليب من أجل الحفاظ على كيانها واستمرار نموها.

لذلك كان الهدف من دراستنا الابتعاد عن الفكرة التقليدية للفتوحات العثمانية والمتمثلة بالدافع الديني فقط، والتركيز على الظروف السياسية والاجتماعية والجغرافية التي رافقت تلك الفتوحات وتدخلت وتداخلت مع بعضها، كضعف الامبراطورية البيزنطية واسبابه و تخاذل العالم المسيحي عن مساعدة القسطنطينية المحاصرة في اكثر من مناسبة وكذلك الطبيعة العسكرية والقبلية التي نشأت عليها الدولة العثمانية، والعبقرية العسكرية والاستراتيجية التي أتصف بها العثمانيون الاوائل في تعاملهم مع البلاد المفتوحة، والذين انطلقت في عهدهم الامارة العثمانية بسرعة هائلة لتصبح دولة مترامية الاطراف.

أما أسباب اختيار الموضوع فتعود الى قلة الدراسات التي تناولت فتح القسطنطينية قبل عهد محمد الثاني (الفاتح) واعتبار الفتح العثماني فكرة طارئة حصلت في عهد الفاتح او في عهد والده مراد الثاني، على الرغم من كونها فكرة متجذرة الاصل صاحبت النشأة العثمانية منذ البداية، لأن العثمانيون ومنذ نشأتهم كانوا في رحلة البحث عن عاصمة وكانت القسطنطينية هي الهدف، اما السبب الثاني لاختيار الموضوع فهو تركيز أغلب الدراسات والمصادر على الدافع الديني في فتوحات العثمانيين وتجاهل الظروف التي مرت بها بيزنطة وطبيعة المناخ السياسي للمنطقة في تلك الفترة الزمنية.

لذلك اتخذنا في طريقة بحثنا للموضوع منهجية دراسة الأحداث من خلال فترات الحكم لفائدة هذه الطريقة في الحفاظ على التسلسل الزمني في سرد الاحداث وتحليلها، وكذلك لدقة هذه الطريقة في تحديد الهدف من كل حملة او حصار استهدف القسطنطينية، فمن غير المعقول ان يتم اعتبار ان السلاطين الخمسة الذين تناولنا فترات حكمهم كانوا يشتركون بنفس الدوافع في التوجه نحو القسطنطينية، كذلك لم تشترك حملاتهم بنفس اسباب الفشل، واختلفت النتائج في كل حملة عن سابقتها، كما صاحب عهد كل سلطان احداث وتطورات مختلفة عمن سبقه من السلاطين.

ولأجل القاء الضوء على هذه الأحداث ومتغيراتها السياسية والاجتماعية قسمنا الموضوع الى مبحثين، حمل المبحث الاول عنوان (استراتيجية التوسع العثماني نحو الاراضي البيزنطية لعزل القسطنطينية)، وانبق منه أربعة محاور، خصصنا الاول منه للعوامل التي ساعدت العثمانيين في التوسع نحو الاراضي البيزنطية كالظروف السياسية التي صاحبت نشأة الامارة العثمانية وكذلك فترة الضعف والتدهور التي عاشتها بيزنطة في ذلك الوقت، اما المحور الثاني فقد خصصناه لعهد عثمان الاول وفتوحاته في اراضي بيزنطة الآسيوية وما صاحب عهده من احداث وتطورات، والمحور الثالث لتسوع اورخان الاول نحو اراضي بيزنطة الاوربية وما شكله عهده من نقطة فاصلة في التاريخ العثماني من توجه نحو اوروبا، والمحور الرابع والاخير لتوسع مراد الاول في بيزنطة بشكل عام، لما صاحب نهاية عهد هذا السلطان من نهاية لمرحلة الفتوحات والعزل وبداية لمرحلة الحصار.

أما المبحث الثاني فقد حمل عنوان استراتيجية الحصار العثماني للقسطنطينية، وانبثق منه محورين، خصصنا المحور الاول لحصار القسطنطينية في عهد بايزيد الاول وحاولنا فيه التركيز على اسباب

انسحابه بعيداً عن الاسباب التقليدية كقلة المدافع وضعف البحرية العثمانية، اما المحور الثاني فهو عن حصار القسطنطينية في عهد مراد الثاني الذي مثل عهده المحور الاخير في مرحلة الحصار العثماني.

المبحث الاول
استراتيجية التوسع العثماني في الأراضي البيزنطية لعزل القسطنطينية (1299- 1389)

إن التوجه العثماني الذي سبق فتح القسطنطينية وتمثل بسياسة الفتوحات نحو بيزنطة كان توجهاً سياسياً واستراتيجياً ولم يكن لأسباب دينية بحتة، والتركيز على فكرة الدافع الديني وحده، يعد تجاهلاً لبقية الدوافع التي لا تقل أهمية عن الدافع الديني، كالأوضاع المتدهورة في بيزنطة واوروبا والطبيعة العسكرية التي تكونت على أساسها الامارة العثمانية لتتحول الى دولة ثم الى امبراطورية، رغم أنها نشأت نشأة متواضعة ولم تكن سوى قوة قبلية بقيادة أرطغرل[1] تابعة للسلاجقة فإمبراطورية آل عثمان نشأت متواضعة كإمارة صغيرة في الشمال الغربي من الاناضول كغيرها من الامارات التي نشأت في تلك الفترة التي تميزت بكثرة الاضطرابات السياسية عند سقوط الدولة السلجوقية وكثرة الامارات الاسلامية التي نشأت على أنقاضها، والتي تم ضمها العثمانيين فيما بعد إليهم وعلى الرغم من الصبغة الاسلامية والطابع الجهادي في سبيل نشر الاسلام الذي أتخذه العثمانيين دافعاً أساسياً في فتوحاتهم نحو الاراضي البيزنطية، لكن كانت تحكم هذه الاستراتيجية العثمانية دوافع وظروف سياسية واستراتيجية – عسكرية واجتماعية، بل أن العامل الديني المتمثل بنشر الاسلام في البلاد المسيحية، لم يكن سوى ضرورة عسكرية خلقتها الظروف التاريخية ليتخذها العثمانيون كأداة ضرورية تخدم هدفهم توسيع أمارتهم على حساب ممتلكات الدولة البيزنطية.

أولاً: العوامل التي ساعدت العثمانيين في التوسع نحو الاراضي البيزنطية:

منذ العقد الثالث للقرن الثالث عشر بدأت الحملات المغولية المدمرة تكتسح الشرق الإسلامي، فكان من نتائجها المباشرة هي هجرة القبائل التركية التي يعود أصلها الى آسيا الوسطى نحو الغرب، فاستقروا في المناطق الجبلية غرب الاناضول، على طول الحدود بين سلطنة السلاجقة وبيزنطة[2].

والرواية الأكثر شهرة رغم طابعها الدرامي، هي ان ارطغرل كان جالساً على تل وشاهد معركة بين جيشين فلما اتضح له انكسار احد الجيشين نزل هو وقبيلته لنصرة الجيش المغلوب، فكان هذا الجيش هو جيش علاء الدين الاول سلطان سلاجقة الروم، فأعطى للقبيلة امارة حدودية تابعه له في شمال غرب الاناضول تدعى (سكود) على الحدود البيزنطية السلجوقية[3].

رغم أن قصة حصول ارطغرل على الامارة الحدودية يكتنفها الطابع الاسطوري الذي تميزت به تلك الحقبة الزمنية، لكن تبقى بكل الاحوال هذه الامارة هي البذرة التي نشأت منها دولة العثمانيين نتيجة موقعها المتاخم لحدود البيزنطيين يرجع الطابع المميز لأمارات الحدود الى فترة الحكم الامويين والعباسيين فبسبب صراعهم المستمر مع البيزنطيين اقاموا تشكيلات خاصة على الحدود، واقام السلاجقة تشكيلات مماثلة[4].

أدت الحروب المستمرة بين البيزنطيين والسلاجقة الى ظهور تنظيم عسكري ذي طابع خاص في الامارات الحدودية[5]، فقد تميز سكان الامارات الحدودية بعزلتهم عن الحكومة المركزية التي لم تسيطر على نشاطهم وكانت سبباً في تعميق الخلافات بين السلاجقة البيزنطيين[6]، وكمثال بسيط على هذا فقد كان ارطغرل كثيراً ما يهاجم ممتلكات الدولة البيزنطية في الاناضول بإسم السلطان علاء الدين الثاني السلجوقي فأستطاع ضم مدينة أسكي شهر الى ممتلكات أمارته[7]، إن الغنائم وفرت للأمارات الحدودية القاعدة الاقتصادية للحياة، كما ضمنت لها الأعداد اللازمة من المقاتلين الذين كانوا يتوجهون نحو الحدود طمعاً بالغنائم، وأوجدت هذه المميزات الملازمة لأمارات الحدود عشائر محاربة مخلصة لزعمائها، وأظهرت طبقة عسكرية مميزة يغلب على أفرادها العنصر التركي التي يسيطر على تفكيرها الغزو والقتال وكانت الحدود البيزنطية الماثلة امامهم فرصة مناسبة للقتال وكسب الغنائم[8].

لقد كانت مناطق الحدود هذه واقعة في أقصى (دار الإسلام) وكان الصراع فيها متميزاً بالصبغة الدينية وله طابع الجهاد المقدس، فقد وفدت جماعات مختلفة من الناس يتزينون بزي الدروايش المجاهدين[9]، وقد ساهمت هذه الفئة من الناس بخدمة زعماء الامارات لتحقيق اهدافهم للتوسع تحت ستار نشر الاسلام في اراضي المسيحيين عند طريق الجهاد وغزو المدن، ويرجع الفضل في تحول الامارة العثمانية الى امبراطورية الى عامل جغرافي وهو الموقع الاستراتيجي لأمارتهم في الركن الشمالي الغربي من قارة آسيا على الحدود الآسيوية للإمبراطورية البيزنطية[10]، وكان معروفاً في تاريخ الاناضول ان الامارة التي تنشأ على الحدود لها نصيب أوفر من عوامل النمو والتطور من الامارات الداخلية[11]، كما مكنهم موقعهم من الوصول الى البحر بسهولة حيث الاراضي البلقانية الاوربية ورائه[12].

إن نشأة الامارة العثمانية في أحضان دولة السلاجقة قد جعل منها امارة اسلامية بدورها وتتبنى بسرعة التقاليد ومؤسسات سلطنة السلاجقة [13] على الرغم من الجدل المستمر حول الكيفية او المدة الزمنية المحددة لدخول العثمانيين في الاسلام، لذلك نرى إن إسلامهم كان تدريجياً وكان مدروساً بدقة ساعد العثمانيون في توسع امارتهم الطبيعة العثمانية نفسها وطريقة تعاملهم مع المناطق التي يفتحوها، فعندما اضطروا للهجرة الى الاناضول نتيجة ضغط المغول حملوا معهم روح الغزو والقتال والرغبة القوية في تحويل البيزنطيين الى الاسلام[14]، كما أن المؤسسات[15] التي تشكلت في الاناضول مثل: (غازيان روم) و (آخي تشكيلاتي: وهي تشكيلات الفتوة اتي طورها الاتراك ونشروها في الاناضول) و (باجيان روم: وتعني النساء المقاتلات في امارات الحدود) و (أبدلان روم: وهم الدراويش الذين كانوا يشتركون بالحرب) قد أدت دوراً كبيراً في التوسع العثماني[16] ، وحققت سياسة الفتح التي ترتكز على مفهوم الغزو والجهاد نجاحاً وتوافقاً ممتازاً مع مفهوم الفتوة في التقاليد التركمانية المعروفة[17].

اما بالنسبة لتعامل العثمانيون مع المناطق التي يفتحوها، فقد كانت تتميز بسياسة ذكية أعتنقها مؤسسي الامارة وسلاطينها فيما بعد وهي سياسة التسامح مع المسيحيين، ولم يمانعوا بأسناد الوظائف الى غير المسلمين[18]، وحيث أدركوا أن بتطبيق سياسة التسامح سيستطيعون توسيع أراضيهم بسهولة، وزيادة مصادر دخلهم، وقد طبق العثمانيون أيضاً ضمن سياستهم التوسعية سياسة التسامح مع الارستقراطية والطبقة العسكرية المحلية، وفي الجيش العثماني خدم الكثير من الجنود من الدول التابعة دون أي يعني ذلك بالضرورة اعتناق الإسلام[19].

ويجب الإشارة في نهاية هذا المحور الى العامل الرئيسي الذي ساعد بالتوسع العثماني ألا وهو الظروف السياسية التي مرت بها كل من سلطنة قونية السلجوقية والامبراطورية البيزنطية، فعلامات الضعف والانحلال التي أصابت البيزنطيين وكذلك الفراغ السياسي التي سببته هجمات التتار على السلجوقيين قد مهدت السبيل نحو الأمارة العثمانية للتوسع والسيطرة على أراضيها خصوصاً وان موقع الامارة العثمانية كان في حدود كلا الدولتين، وكانت تستقطب القبائل المحاربة للانضمام لواء العثمانيين ذوي الاصول القبلية، فاندمجت هذه العناصر بالعنصر العثماني وفي عام 1300 أغارت جموع التتار على سلطنة قونية السلجوقية والتي كان عثمان الاول [20] يعمل في خدمة أميرها علاء الدين كيكباد الثالث، وأسفرت الغارة عن مقتل الامير علاء وولي عهده غياث الدين، فأصبحت السلطنة بدون سلطان، فأستغل عثمان الفرصة ليعلن زعامته على السلطنة تحت أسم (بادي شاه آل عثمان) معلناً بذلك ولادة أمارة بني عثمان[21]،وأما الإمبراطورية البيزنطية فقد دخلت مرحلة من التدهور بدأت منذ سنة 1204 عندما سقطت القسطنطينية بيد الصليبيين في الحملة الصليبية الرابعة[22]، والتي لم يكن الخلاف الديني سوى أهم أسبابها، لكن جذور هذه الحملة واسبابها تعود الى بيزنطة نفسها ونظرتها لكل من حولها على أنهم برابرة، وكذلك البيزنطيين نفسهم الذين تميزوا بتعصب ديني شديد ضد كل من يخالفهم[23].

استمر هذا التدهور في عهد أسرة باليولوجوس[24]، ويعود الضعف الذي اصاب الامبراطورية في عهدهم الى عوامل داخلية تمثلت بالانقسام والحروب الاهلية بين يوحنا السادس الذي طلب مساعدة العثمانيين نظراً لقوتهم في صراعه ضد يوحنا باليولوجوس[25]، وكذلك الثورات الداخلية، واعتماد

البيزنطيين على المرتزقة للدفاع عن دولتهم والتي كانت من أكثر الخطوات حماقة في تاريخ البيزنطيين أذ سرعان ما قام هؤلاء المرتزقة المعروفون بالفرقة الكتلانية الكبرى بمحاصرة القسطنطينية خلال (1305 – 1307) وقاموا بأعمال السلب والنهب في مقدونيا ليسببوا مزيداً من السخط في المدن التابعة للإمبراطورية[26].

اما العوامل الخارجية فقد تمثلت بالقوات البيزنطية الحدودية (الاكريتاي) التي اعتنقت الاسلام وتعاونت مع العثمانيين، ويعتبر ميخال الغازي أحد القادة العسكريين البيزنطيين في مناطق الحدود نموذجاً مشهوراً لهذه الحالة[27]، والتي سببتها حماقة البيزنطيين عندما قام ميخائيل الثامن بإلغاء الكتائب المرابطة على الحدود[28]، رافقها حالة التشرذم السياسي في المناطق الحدودية البيزنطية، فقد كان الحكام المحليون هناك يتطلعون دوماً لطلب المساعدة من الخارج لحل النزاعات الداخلية[29] ،واعتماد البيزنطيين على المرتزقة وعلى أسطول جنوة في الدفاع عن اراضيهم قد كلف خزينة الدولة الخاوية اساساً اعباء لا تقدر على تحملها فأضطر الامبراطور اندرونيكوس الثاني[30] (1282 – 1328) الى تخفيض أعداد الجيش فأصبح الجيش في نهاية القرن الثالث لا يتجاوز عدده بضعة الاف[31].

ثانياً: توسع عثمان الأول (1299 - 1326) نحو أراضي بيزنطة الآسيوية:

يعد عثمان المؤسس الاول للدولة العثمانية، ففي عهده أنتهى موقف التبعية السياسية والحربية للسلاجقة لتصبح امارة مستقلة وتتخذ الطريق نحو بناء الدولة وتوسيعها[32]، بدأ عثمان الاول بفتوحاته من الاناضول ولكنه لم يكن اول من قام بهذا فقد تمكنت دولة سلاجقة الروم من التهام الاراضي البيزنطية في الاناضول، واستطاع عثمان أن يكمل ما بدأته باحتلاله بقايا الاراضي البيزنطية في الاناضول حول طرابيزون على الشواطئ الجنوبية للبحر للأسود، وانهاء الوجود الارميني في الوسط الجنوبي من آسيا الصغرى الى جانب سيطرته على الممتلكات البيزنطية المنتشرة بمحاذاة الشاطئ الآسيوي من بحر مرمرة[33] .

جعل عثمان من مدينة (يكي شهر) عاصمة له وأخذ في تحصينها ثم انطلق منها الى منها الى (ازميد) ثم (أزنيك) ولكنه لم يتمكن من فتحهما[34]، لأن بيزنطة شعرت بتهديد الامارة العثمانية التي تنمو بسرعة، فقرر الامبراطور البيزنطي تركيز اهتمامه وقوته في الجانب البحري ليمنع توسع العثمانيين في اراضيه الاوربية، كما أن عثمان كان يخشى أن يتوقف المد العثماني بسبب أغلاق البيزنطيين لطريق البحر وكذلك تفوق بيزنطة البحري وقوة أساطيلها رغم ضعف جيوشها البرية، لأن هذا يعني ترك أتباعه له للبحث عن اراضي جديدة[35].

لذلك عمل على التعايش في البداية مع الولاة البيزنطيين المجاورين له، بدلاً من مقاتلتهم، لكن فكرة الغزو التي أعتنقها عثمان في امارته قد أثارت أعجاب الامارات التركمانية المجاورة فقامت بالانضمام له لتزداد بذلك قوته العسكرية[36] والسياسة التي أتبعها عثمان مع الامارات الاناضولية المسلمة كانت تدل على دهاء شديد، لأنه وصفهم بقطاع الطرق الذين يضربون دولة إسلامية مجاهدة من الظهر، ووضع سياسة خاصة لمعاملتهم من خلال صيغة " **الجهاد ضد ما يعرقل الجهاد هو الجهاد الأكبر** "[37] 0

إن الصدام الاول بين البيزنطيين وعثمان الاول بعد تهديده مدينة (أزنيق) العاصمة البيزنطية السابقة، فدخلت الدولة البيزنطية بجيش قوامه ألفي رجل في معركة بافيون أو (قره حصار) سنة 1301م، فكانت هزيمة هذا الجيش على يد عثمان سبباً في شهرته وعدم تعرض البيزنطيين له إلا بعد ثلاث سنوات[38] وفي سنة 1304 عرض المرتزقة الملقبين (الكتلان) على الامبراطور البيزنطي محاربة العثمانيون، فوافق على ذلك، فوصلوا بجيشهم المكون من 6500 رجل الى القسطنطينية، ثم تقدموا نحو منطقة (فلادلفيا) التي كان العثمانيون متوجهين لفتحها، فاستطاعوا هزيمة الجيش العثماني[39] ونرى ان هزيمة العثمانيين دليلاً قوياً بأن لو كانت بيزنطة تمتلك القوة لأمكن لها أن تقضي على قوة العثمانيين الناشئة، ولكنها في وقتها لم تكن لديها لا القوات ولا المال، ولم تذكر هذه العزيمة سوى مصادر قليلة، وكثير من المؤرخين العرب والاتراك يتجاهلون هذه المعركة، وخصوصاً الذين يحبذون فكرة الربط بين السلطنة

العثمانية وبين الخلافة الاسلامية، رغم وجود نص صريح يوضح ان الرسالة النبوية قرشية الاصل والوراثة باستثناء المذهب الحنفي الذي أجاز أن تكون الخلافة في غير قريش والتي انطلق منها العثمانيين فيما بعد لفتح الشرق وخطف لقب الخلافة من بني العباس، وليس رأينا هذا ناتجاً عن تعصب ضد التاريخ العثماني وسلاطينه، لأننا نعتبر مؤسسي الدولة العثمانية أصحاب عقلية عبقرية في تأسيس الدولة، لكن لم تكن غايتهم الاساسية هي نشر الدين واعلاء كلمة الاسلام كما تم تصوريهم، حيث كانوا قادة سياسيين استخدموا الإسلام كوسيلة سياسية لتحقيق طموحاتهم في التوسع على حساب ممتلكات غيرهم من الدول، ولم تكن الامارات المسيحية هدفهم الوحيد، لأنهم توسعوا في امارات اسلامية كثيرة، فكان هذا واضح على الهدف السياسي الذي كان ماثلاً في فكر مؤسسي الدولة العثمانية، فلم يكن الهدف الديني سوى هدفاً ثانوياً، استطاع من خلاله العثمانيون تكريس وتوسيع ممتلكاتهم والخطوة الثانية التي قام بها الامبراطور اندرونيكوس الثاني هي محاولة التحالف مع المغول الذين يسيطرون على وسط وشرقي الاناضول، فأرسل لهم عرضاً للتقارب الأسري عن طريق الزواج، وقيام تحالف بين الدولتين، لكن انشغال المغول في علاقاتهم المتوترة مع المماليك في مصر وبلاد الشام قد شغلتهم عن البيزنطيين، ففشلت محاولة البيزنطيين، مما أتاح للعثمانيين المزيد من الفتوحات[40].

بدأ عثمان بسياسة جديدة لفتوحاتهم من خلال التوسع في أتجاهين لعزل المدن التي يبتغي فتحها، فقام بالتوسع شمال نهر سقاريا ناحية البحر الاسود، وفي الجنوب الغربي تجاه بحر مرمرة [41]، فقطع الطريق المؤدي الى مدينة أزنيق من الجهة الشرقية، وتقدم من الغرب صوب لوباديون، ثم التف حول سلسلة جبال اولوداغ من الشمال والجنوب متجنباً المدن المحصنة[42]، وقد أنجز هدفه هذا سنة 1308، عندما عزل آخر مدينة بيزنطية مهمة وهي مدينة (بروسة) التي تقع جنوب بحر مرمرة التي ستصبح بعد وفاة عثمان عاصمة للعثمانيين[43].

سعى عثمان الاول لتحديد عاصمة جديدة للعثمانيين تكون ذات موقع حصين، لذلك اتجه نحو (بروسة) وهي مدينة حصينة بطبيعتها ويستطيع من خلالها مهاجمة شاطئ بحر مرمرة [44] ، أمر عثمان قلعتين بالقرب من المدينة بهدف إحكام عزلتها وتشديد الحصار عليها، وعهد الى ابنه اورخان[45] بمحاصرتها، وصمدت المدينة لعشر سنوات لكنها سقطت في النهاية سنة 1326م [46] ولم تحصل اي عمليات قتالية خارج أسوار المدينة، لأن قائدها (افرينوس) لم يتلقى أي مساعدة من الاباطرة البيزنطيين رغم علمهم بحصار المدينة كل هذه المدة، فقام بتسليم المدينة للعثمانيين، ومن شدة استيائه من موقف الاباطرة البيزنطيين قام باعتناق الإسلام وسلم كل ثروته للعثمانيين، ونتيجة لذلك منحه اورخان لقب (بك)، وصار أحد أشهر القادة العثمانيين[47] ولاحت في الأفق ظاهرة السخط عند حكام المدن بسبب سياسة الاباطرة البيزنطيين المتخاذلة، امام توسع العثمانيين، لذلك فضل هؤلاء الحكام العثمانيين على البيزنطيين وسلموهم القلاع بدون قتال في كثير من الأحيان،وإن سيطرة العثمانيين على (بروسة) لحظة فاصلة في تاريخ العثمانيين وخطوة مهمة في طريق تحول أمارتهم الى دولة[48]، فقد تحولت ممتلكاتهم من امارة حدود يسكنها الرعاة الى دولة حقيقية ذات عاصمة وحدود وشعب مستقر، ووسائل تطوير جيش نظامي يدافع عن الدولة ويوسع رقعتها[49]، وحدث كل هذا في وقت انغمس فيه البيزنطيون بالفتن والحروب الاهلية والمنازعات السياسية بين افراد الاسرة الحاكمة، وبدأت تلك الاسرة تتجه نحو العثمانيون لطلب المساعدة واصبح العثمانيون يرسلون قواتهم كمرتزقة بشكل منتظم الى القسطنطينية وتراقيا، مما جعلهم يدركون مدى الضعف الذي وصلت اليه الامبراطورية البيزنطية[50].

ثالثاً: توسع أورخان الاول (1326- 1360) نحو أراضي بيزنطة الأوربية:

قبل التطرق الى فتوحات اورخان من الضروري الإشارة الى نقطة مهمة في هذا المبحث ألا وهي العبور الى روميلي (البلقان والاراضي الاوربية) عن طريق (كاليبولي) التي أصبحت قاعدة للتوسع العثماني في البلقان خلال الفترة (1354-1357)، وشكلت نقطة فاصلة في التاريخ العثماني لأن عبورهم نحو الاراضي الاوربية كان الخطوة التي جعلت هذه الامارة الحدودية تتحول الى امبراطورية مترامية

الاطراف، كما ان هذا الحدث قد غير مجرى التاريخ الاوربي ومصير الدول الاوربية وبالذات مصير القسطنطينية، فلولا النجاح الذي حققه اورخان في عبوره نحو الاراضي الاوربية، لما استطاع من خلفوه على العرش العثماني دق أبواب القسطنطينية وفتحها في النهاية سنة 1435،اما النقطة الثانية التي لا تقل أهمية عن النقطة السابقة، فهي الأسس الادارية والعسكرية التي وضعتها ثلاث من اهم الشخصيات المحورية في التاريخ العثماني، وهم:علاء الدين بن عثمان، الذي كان له الدور المميز في وضع الأسس الادارية لدولة اخاه اورخان المشغول بفتوحاته، و سليمان بن اورخان (الذي سأذكره بعد هاتين الشخصيتين كون انجازاتهم كانت سابقة لإنجازاته زمنياً) والثالث هو (قره خليل) صاحب فكرة استخدام العنصر غير التركي في القتال من خلال طريقة الديوشيرمة[51] والتي تعني ضريبة الدم،ليتم من خلالها تأسيس الانكشارية [52]، التي تمثل دليلاً قاطعاً على ميكافيلية النظام العثماني وقسوته المتناهية من أجل تحقيق مصالحه، اذ ان هذه الفكرة قد بررت استعباد اطفال تم أخذهم من بيوت اهاليهم بمنتهى القسوة ليصبحوا جنداً للسلطان العثماني، ولعل هذا النظام هو ما دفعنا أساساً للتفكير بأن العثمانيين سياسيين ميكافيليين النظرة، ولم يكن يهمهم من مفاهيم الدين سوى ما يخدم مصالحهم ويساعدهم، لأن بنظام الانكشارية هذا قد مارسوا العبودية بأسوأ أشكالها، على الرغم من كثرة المصادر التي تحاول تبرير موقف العثمانيين هذا، ورغم القسوة الشديدة لهذا النظام، لكن كانت له مبرراته بالنسبة للعثمانيين الذين عرفوا بليبراليتهم وتسامحهم الديني مع اهل البلاد المفتوحة، لكن مع ذلك طبقوا هذه الفكرة العسكرية المتطرفة، وهذا يعد من عوامل نجاح العثمانيين في التوسع بهذه السرعة، فهم قد جمعوا النقيضين في سياستهم، فلم يترددوا في استعمال القسوة عندما تحتاج دولتهم هذا وكذلك استعملوا التسامح الديني بنفس الوقت لكسب اهالي البلاد المفتوحة، وهذه الفكر الميكافيلي الذي أشرنا له كان الطابع المميز للعثمانيين، وأن أسباب تشكيل الانكشارية تعود الى إدراك اورخان الاول أن الاعباء الملقاة على امارته أكبر من امكانيتها الخاصة، فقد كان الجيش العثماني يعتمد بشكل أساسي على الفرسان ولا يملك قوات ولا نظام للمشاة رغم ان العثمانيين قوة قبلية لا يستهان بها في المعارك، فقد كانوا فرسان أشداء لدرجة التهور لكنهم لا يعرفون تنظيماً عسكرياً في قتالهم ويعتمدون على الشجاعة والكثرة العددية في المعارك، لذلك قد أثبتوا قوتهم في التغلب على قوات بيزنطة البرية، لكن المعارك البحرية وحرب الحصون والمراكز المنيعة تتطلب قدرات عسكرية مختلفة والشجاعة وكثرة العدد لا فائدة ترجى منهما [53].

حاول اورخان الاول معالجة هذه المشكلة بتأليف جيش من الاتراك انفسهم، فكانت الدولة تدفع لأصحاب الاقطاعات العسكرية مبالغ مالية مقابل أعداد معينة، لكن هذه السياسة الاستراتيجية لم تصمد امام التجربة كونها كلفت مبالغ مالية كبيرة[54]، وتأخر الفرسان الاقطاعيين بالوصول للمعارك بالوقت المحدد وعدم تحملهم القيام بعمليات الحصار لفترة طويلة[55] وتمكن اورخان بفضل التنظيمات الادارية والعسكرية التي قام بها، بالقيام بعدة فتوحات، فدخل (ازنيق) سنة 1331، و (إزميد) سنة 1335 وكذلك منطقة (قوجه ايلي) في نفس السنة[56] وفي سنة 1336 توفي امير (قره سي) وهي أحدى الامارات التي قامت على أنقاض دولة السلاجقة الروم، وأختلف ولداه من بعده وتنازعا على الامارة، وطلبا مساعدة العثمانيين، فأستغل اورخان هذا الصراع للتدخل والاستيلاء على هذه الامارة [57]، وقد اوردت قصة الاستيلاء على هذه الامارة رغم كونها غير تابعة للبيزنطيين، لكن استيلاء العثمانيين عليها من خلال التدخل في النزاعات الاهلية بفضل جيوشهم القوية، كانت الطريقة التي نفذ من خلالها العثمانيين الى اراضي بيزنطة الاوربية، كما أن استيلاء العثمانيين على هذه الامارة قد ساعدت العثمانيين بفضل موقعها في عبورهم للدردنيل إن الحرب الاهلية[58] التي نشبت في بيزنطة كانت المفتاح الذي دخل من خلاله العثمانيين الى اوروبا البيزنطية، فقد كان الصراع الذي نشأ على العرش بعد وفاة اندرونيكوس بالايولوجس، سبباً رئيسياً للتدخل العثماني، وكان طرفا النزاع في السلطة الامبراطور الصغير يوحنا باليولوجوس وقائد جيشه كانتاكوزين والذي كان الحاكم الحقيقي في عهد والده، فقام كانتاكوزين بطلب المساعدة من العثمانيين، ولم يتردد في تزويج ابنته وارسالها الى اورخان، والذي بدوره أنتهز الفرصة فأرسل ستة الاف مقاتل بقيادة أبنه سليمان بن اورخان ليثبتوا كانتاكوزين[59].

إن سليمان بن اورخان هو الشخصية المحورية الأهم من الشخصيات التي سبق وذكرتها والتي ساعدت في توسع اورخان الاول في الاراضي البيزنطية، والعبور الى الروميلي (1354 – 1357) وبالإضافة الى الحروب الاهلية في بيزنطة، فقد عانت بيزنطة من هجمات القوات الصربية والبلغارية، لذلك طلب البيزنطيين مساعدة العثمانيين، فحضر سليمان بقواته سنة 1349، واوقف الصرب وشتت قواتهم، ووصل الى (سلانيك) وخلصهامن الحصار عندما كانت على وشك السقوط بيد الصرب، واشتركت في هذه الحملة 22 سفينة عثمانية[60].

قام سليمان بالاستيلاء على قلعة (تيسيمبة) في طريقه والتي تقع على الطرف الاوربي من مضيق (كاليبولي)، وأخذ يوطد وجوده هناك من خلال طلب قوات جديدة من الاناضول لحصار قلعة (كاليبولي)، وقد شاءت الصدف أن يحدث زلزال أدى الى تدمير أسوار القلعة وغيرها من القلاع في المنطقة[61] وأخيراً وفي سنة 1357 م أجتاز سليمان مضيق الدردنيل ومعه أربعون من حرسه الخاص، الضفة الاخرى واخذوا ما كان بها من قوارب وعادوا بها الى الضفة المعسكرة عليها جيوشهم، فأنتقل الجيش العثماني الى الضفة الاوربية بعدده البالغ ثلاثين الفاً [62]، وبذلك تم للعثمانيين دخول الاراضي البيزنطية في اوروبا بعد أن ساعدتهم عدة عوامل سياسية وعسكرية على ذلك،وليس من الصعوبة تفسير السهولة التي تميز بها الفتح العثماني للبلقان، فقد تزامن الفتح مع النزاعات الاهلية داخل الاسرة الحاكمة البيزنطية نفسها وكذلك بين حكام الامارات البيزنطية، وبالمقارنة مع هذه الفوضى البيزنطية، نجد أن العثمانيون كانوا يتبعون سياسة ثابتة ولم تحدث بينهم أي نزاعات تؤثر على سياستهم، بالإضافة الى التفوق الذي كان له الدور البارز في هذه الفتوحات والمتمثل بالجيش الانكشاري ويجب الاشارة الى ان العامل الديني المتمثل بالصراع الكاثوليكي – الارثوذكسي، كان من الأسباب التي سمحت للعثمانيين بالتغلغل، فقد كان السكان الروم الارثوذكس يعارضون بقوة أي نفوذ او تدخل كاثوليكي، اما العثمانيون بفضل السياسة الذكية التي تعاملوا بها مع الموقف فقد أتخذوا جانب الارثوذكس واعتبروا أنفسهم حلفاء لهم، وهذا يفسر لنا الاحداث التي سبق وان ذكرتها، وهي تغلغل العثمانيون في تراقيا خلال الفترة 1346- 1352، كحلفاء ليوحنا كانتاكوزين[63]، وكذلك تغلغلهم للمرة الثانية بسبب محاولة الاوربيين انفسهم السيطرة على بيزنطة كالبلغار وملكهم (سيمون) الذي أراد وراثة الامبراطورية البيزنطية، وكذلك الصرب وملكهم (ستيفن دوشان) الذي سمى نفسه عام 1345 (سيد كل الامبراطورية الرومانية)، فأضطر البيزنطيون لفتح ابوابهم للعثمانيين[64].

رابعاً: توسع مراد الأول (1360- 1389) نحو الأراضي البيزنطية:

تميزت فترة حكم مراد الاول[65] بأنها لم تكن فترة فتوحات فحسب، حيث حملت في طياتها تبلوراً ونضوج لفكرة العثمانيين بالتوجه نحو القسطنطينية وفتحها لتكون عاصمة لدولتهم، فكما لاحظنا من خلال المحاور السابقة ان العثمانيين لم يستقروا على عاصمة واحدة وتغيرت عاصمتهم في عهد عثمان، ثم تغيرت مجدداً في عهد بايزيد، وسوف تتغير العاصمة من جديد في عهد مراد الاول الذي ستكون فترة حكمه موضوع هذا المحور لذلك نستطيع القول بأن العثمانيين كانوا منذ تأسيس امارتهم في رحلة للبحث عن عاصمة، لتكون النقطة والارتكاز الذي سيربط ممتلكاتهم بعضها ببعض، وأن عهد مراد الاول تميز بظاهرة التحالفات الصليبية ضد العثمانيين، فقد أصبح واضحاً للبيزنطيين وللعالم المسيحي أجمع، إن العثمانيين لن يتوقفوا أبداً ولن يرضوا بمدينة او مدينتين، لذلك أدرك الاوربيين وقتها وللمرة الاولى ان العثمانيين قد وهبوا أنفسهم للقتال وللفتوحات، لأن الطبيعة العسكرية التي نشأت منها الدولة العثمانية كانت هي الأساس الذي سار عليه العثمانيين لعهود طويلة وإن الفضل لنشأة الانكشارية يعود لمراد الاول الذي جعلها العماد الاساسي لجيشه، ولم يكن أباه سوى من وضع الأساس للفكرة، ولكثرة الآراء حول تأسيس الانكشارية وضبابية التاريخ العثماني في بدايته، لم يستقر رأي المؤرخين[2] على السلطان المؤسس، وظهرت الكثير من الآراء التي تداخلت أيضاً حول طريقة تأسيس الانكشارية، لكن على الأرجح ان عملية التأسيس كانت مستمرة بالتدريج، صرف مراد الاول سنوات حكمه الطويلة في الفتوحات، وتوسعت دولته

الى أربعة أضعاف ما كانت عليه في عهد أبيه، لذلك يعد مراد الاول أول سلطان في الدولة العثمانية، حيث كان أباه اورخان وجده عثمان يلقبان بلقب (بك)[66].

في عهده أصبح اللون الأحمر هو شعار الدولة العثمانية لأنه جعل منه لون ملابس الجيوش العثمانية[67]، وهناك رأي آخر يقول أن السبب في أتخاذه اللون الاحمر شعاراً هو بسبب تفقد السلطان لساحات المعارك في الليل بعد انتهائها، وقد شاهد انعكاس الهلال والنجوم على ساحة المعركة المضرجة بالدماء، لذلك جاءت الفكرة العلم الاحمر المزين بالهلال والنجوم لتكون شعاراً للدولة العثمانية[68]،وقبل أن يبدأ مراد الاول بفتوحاته في البلقان، كان عليه أن يقضي على خصومه في الاناضول، الذين حاولوا استغلال وفاة أبيه للانسلاخ من جسد الدولة العثمانية، فتحالفوا مع سلاجقة قرمان لتحقيق هدفهم هذا، لكن مراد الأول أرسل حملة سريعة قامت بهزيمتهم وأعادتهم الى السلطة العثمانية[69].

إن الوضع في اوروبا كان مناسباً تماماً لحث الدولة العثمانية للمزيد من التوسع والفتوحات، فبلغاريا وبيزنطة كانتا في حالة من التدهور والضعف، والامبراطورية الصربية التي بناها ستيفن دوشان تمزقت بعد موته[70]، أما مملكة المجر التي كانت تمثل أهم قوة بوجه العثمانيين، كانت تريد استغلال توسع العثمانيون في البلقان لكي توسع حدودها باتجاه حوض الدانوب الاسفل[71]،وكانت (أدرنة) هي الهدف الاول الذي وضعه مراد الاول أمام عينيه، فعندما كان مراد أميراً، كان قائداً للقوات العثمانية في اوروبا بعد وفاة أخيه سليمان، لكن ذهابه للأناضول لاستلام العرش بعد وفاة أبيه، فأنتهز البيزنطيون فرصة غياب مراد واستعادوا معظم المدن في (تراقيا) التي استولى عليها اورخان سابقاً، لكن مراد عاد مسرعاً ليستولي على (أدرنة) عاصمة تراقيا البيزنطية في سنة 1362 بعد أشهر معدودة من توليه العرش، واتخذها عاصمة لدولته[72].

تعتبر هذه المدينة هي الأهم للإمبراطورية البيزنطية بعد القسطنطينية، فهي أقوى حصن بين القسطنطينية والدانوب، وتسيطر على الطريق المؤدي من العاصمة البيزنطية الى جبال البلقان، وكانت مركز الجيش البيزنطي والانظمة الادارية في البلقان[i]، ونتيجة لفتح هذه المدينة أصبحت القسطنطينية معزولة عن باقي اجزاء الدولة البيزنطية وقابعة خلف أسوارها الحصينة التي أصبحت حاجزها الوحيد امام العثمانيين[73].

في عام 1363 وفي غرب القسطنطينية عبر العثمانيون نهر (ماريتسا) وسيطروا على الاراضي المجاورة له، وبذلك استطاعوا فتح مدينة (فيلابوليس) والوادي المجاور لها، المشهور بزراعة الارز والقمح والذي كان يزود القسطنطينية بالمواد الغذائية[74]، وكذلك كانت مصدراً للضرائب الهائلة التي ترد للبيزنطيين، لذلك اضطرت بيزنطة الى الاعتراف بنوع من التبعية للسلطان، ووقعت معه معاهدة صلح، اكدت فيها الفتوحات العثمانية في اوروبا، كما تعهدت بعدم الاشتراك في أي مؤامرة مع امراء البلقان ضد السلطان العثماني[75] ورغم الخطر العثماني الذي بات يهدد القسطنطينية، لكن البابوية في روما لم تستمتع لرسائل الامبراطور البيزنطي ولم تأخذ اقتراحه بتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية على محمل الجد، لأن البابا كان يعلم بطبيعة الشعب البيزنطي المتعصب والذي لن يرضخ لكنيسة روما، كما ان البابا نفسه لم يكن جاداً بمساعدة البيزنطيين فكل ما فعله هو ارسال الرسائل للأمراء الاوربيون يستنهض فيها هممهم لمحاربة الاتراك المسلمين الذين يهددون بلاد المسيحيين لم يتوقع ملك صربيا (اوروك الخامس) أي يصله أي دعم من البابا او من امراء اوروبا، لذلك فقد قام بتشكيل حلف مع الامراء المجاورين له، فلبى دعوته أمراء البوسنة والأفلاق (جنوب رومانيا) وكذلك أعداد من فرسان المجر المرتزقة،مستغلين انشغال مراد الاول في الاناضول[76]، فزحفت جيوشهم نحو نهر ماريتازا لمحاصرة (ادرنة)، لكن العثمانيين نصبوا كميناً للجيوش المتحالفة على ضفاف النهر، فدارت المعركة المعروفة في تاريخ العثمانيين بمعركة هزيمة الصرب الساحقة وذلك عام 1364، وقد غرق فيها الكثير من الجنود والامراء أثناء محاولتهم عبور النهر سباحة لأنفاذ أنفسهم، حتى أن ملك المجر (لويس الكبير) أستطاع الهروب بأعجوبة، لذلك عندما رجع الى بلاده قام ببناء كنيسة، إظهاراً لشكره على نجاته[77].

سافر الامبراطور البيزنطي يوحنا الخامس في سنة 1366 الى المجر ليطلب المساعدة، لكن ذهبت جهوده ادراج الرياح، أذ طلب منه ملك المجر أن يعتنق الكاثوليكية، وأثناء عودته منعه البلغار من العودة الى القسطنطينية رغم أن أبنه كان متزوجاً من أميرة بلغارية، إلا أنه لم يفعل شيئاً لإنقاذ أبيه[78].

إن رسائل البابا (اوربانوس الخامس) لشن حملة صليبية، قد أدت لظهور شخصية قوية اوروبية استطاعت أن تلحق هزيمة طفيفة بالعثمانيين، وهو (اماديوس) كونت سافوي [79]، الذي حشد نخبة ممتازة من جيشه الاقطاعي، وصمم على الذهاب في حملة صليبية للأراضي المقدسة، لكن سماعه بنبأ احتجاز أبن عمه الامبراطور (يوحنا الخامس) قد دفعته لتغيير مسار حملته وأبحر الى (كاليبولي) سنة 1366 بخمسة عشر سفينة، لينتزعها من العثمانيين الذين سيطروا عليها منذ عهد اورخان الاول، وكان استردادها لطمة قاسية للعثمانيين الذي اعتقدوا أن لا أحد قادر على هزيمتهم[80].

لكن سرعان ما عادت (كاليبولي) للعثمانيين عندما جلس (اندرونيكوس) على العرش البيزنطي بأسم (اندرونيكوس الرابع) وذلك بمساعدة مراد الاول الذي امده بقوة عسكرية مكنته من دخول القسطنطينية عام 1376، فأضحى الامبراطور البيزنطي مجرد تابع للسلطان مراد الاول[81]،وفي عام 1388 تلقى العثمانيون هزيمة اخرى على يد قوات الصرب والبوسنة، وذلك عندما هاجم الجيش العثماني البوسنة خلال حملات الفتوحات الناجحة التي قادها القائد العثماني (تيمورتاش) خلال الفترة (1386- 1388)' وتمت أبادة الجيش العثماني في معركة (بلوتشنيك)، التي كان لها أثراً كبيراً في تحفيز دول البلقان للاتحاد لطرد العثمانيين من الروملي[82]، وقامت صربيا والبوسنة بالعمل على تنظيم حملة صليبية جديدة، فقد أثبتوا بأنهم قادرين على هزيمة العثمانيين، لذلك قاد الحملة حاكم صربيا (لازار) ومساعده ملك البوسنة (تفرتكو)، وشارك في هذه الحملة كل من امراء المجر، بولونيا، رومانيا،مولدفيا، وبلغاريا، ليشكلوا جيشاً جراراً ليصطدم العثمانيون في معركة مصيرية وحاسمة بالنسبة للطرفين[83] .

عبر السلطان مراد الاول البحر الى اوروبا بقوات مساعدة أرسلها له الامراء التابعون وتمكن في 15 حزيران 1389 من تحطيم القوات المشتركة الصربية والبوسنية وحلفائهم في معركة دموية جرت في سهل قوصوه[84] (كوسوفو/ كوسوفا) او كما سميت بمعركة حقل الطيور السوداء، ليتمكن العثمانيون من توطيد حكمهم وبشكل نهائي في البلقان[85]،وكانت نتيجة المعركة هي أن صربيا فقدت استقلالها، وصارت ولاية تابعة للإمبراطورية العثمانية، وقد ضلت صربيا خاضعة بشكل تام للعثمانيين وتدفع الجزية لهم لمدة 70 سنة، ولم يبقى من اوروبا البيزنطية سوى بعض امارات البوسنة والبانيا[86].

لقد وجه مراد الاول العثمانيين بحكمه سياسية لا يضاهيه فيها أحد من ساسة عصره، وفي كل معركة خاضها كان يخرج منها منتصراً، أما الهزائم التي سبق وذكرناها فلم يكن السلطان هو قائد المعركة، لذلك نستطيع القول بأن عثمان الاول هو من أوجد العثمانيين وجعل منهم امارة، واورخان هو من بنى الدولة وحافظ عليها، إلا أن مراد الاول هو من وضع قواعد الامبراطورية العثمانية، وجعل منها دولة عالمية تهتز لها عروش أوروبا، أما الامبراطورية البيزنطية فقد حكمها في تلك الفترة أحد أسوا الاباطرة وهو يوحنا الخامس الذي امتاز عهده بالذل والخنوع لبيزنطة كلها، حيث أضعف هيبة بيزنطة برحلاته الكثيرة للتوسل من أجل دعم دولته في حربها ضد العثمانيين، لكن من جهة اخرى كان التعصب الديني الشديد من كلا الجانبين البيزنطي والكاثوليكي سبباً رئيسياً في توسع المد العثماني وسيطرته على كل تلك الاراضي البيزنطية، فإذا قدرنا عدد الدول الاوربية التي كان بإمكانها التوحد ومحاربة العثمانيين لوجدنا العدد هائلاً، ولتمكن من سحق العثمانيين (رغم دهائهم وقوة جيشهم) بمعركة واحدة، لكن الخلاف الديني بين الكنيستين الشرقية والغربية جعل من هكذا تحالف امراً مستحيلاً، على الرغم من توسل الامبراطور البيزنطي بالبابا وقبوله ان يتم تعميده بالطريقة الكاثوليكية، لكن البابا لم يعلن توحيد الكنيستين رغم أن الأوضاع البيزنطية بشكل خاص والاوربية بشكل عام قد كانت سبباً أساسياً ورئيسياً لظاهرة التوسع السريع في عهد مراد الاول والتي بفضله أصبحت امارة العثمانيين دولة عالمية، بل أن الكثير من المؤرخين يعتبرون فترة مراد الاول هي الفترة التي دخلت فيها الدولة العثمانية دور الامبراطورية [87]

المبحث الثاني

استراتيجية الحصار العثماني للقسطنطينية (1389 – 1453)

إن استراتيجية الحصار هي المرحلة الثانية في طريق تحقيق الهدف العثماني لفتح القسطنطينية، وقد مثلت حلقة مكملة لاستراتيجية عزل القسطنطينية، حيث أصبحت القسطنطينية في هذه المرحلة محاطة تقريباً بأراضي عثمانية او أراضي تحمل صفة الولاء للسلطان العثماني، لذلك سوف يكون موضوعنا في هذا المبحث عن عهد أثنان من سلاطين الدولة العثمانية اللذان طبقا هذه الاستراتيجية وتمكنا من حصار القسطنطينية وكادا أن يتمكنا من فتحها لولا الظروف السياسية التي عاشتها المنطقة والتي اضطرت العثمانيين للانسحاب من امام ابواب القسطنطينية، إن عهد السلطانين بايزيد الاول[88] ومراد الثاني[89]، قد فتح الطريق بشكل شبه كامل نحو فتح القسطنطينية عام 1435، إذ استفاد العثمانيين من الاخطاء التي أفشلت فتح القسطنطينية في عهد هذين السلطانيين، رغم أن أسباب فشلهما قد حكمتها الظروف السياسية بشكل أساسي.

أولاً: حصار القسطنطينية في عهد بايزيد الاول (1389-1403):

ان بايزيد الاول رغم قوته لم يكن يحمل شيئاً من حكمه والده، فقد كان يتصرف باستعلاء مع الامارات المسيحية وكذلك مع البيزنطيين، كما أنه انتهج سياسة قتل الأخوة، حيث بدأ عهده بقتل أخاه الوحيد يعقوب[90]، لذلك نرى إن هاتين الصفتين قد مثلتا قاعدة للانهيار في عهد هذا السلطان، فقد كانت سياسته الاستعلائية تجاه أعدائه قد وحدتهم ضده، كما أن قاعدة قتل اخوته قد أصبحت قاعدة سار عليها أبنائه عليها بعد مقتله، ليغرقوا الدولة العثمانية في فوضى سياسية مستمرة، كما ان قتله لأخوه الوحيد قد برهن على ميكافيلية السلاطين العثمانيين والتي اشرنا اليها سابقاً، فقاعدتهم الوحيدة هي ان العرش أهم من العائلة والسلطان اهم من الانسان، وكانت الجيوش العثمانية في عهد بايزيد تمثل أقوى جيوش المنطقة قاطبة[91]، وقد ذكر احمد جودت في كتابه بالتفصيل عن تنظيم الجيش العثماني وتطوره وعن استعماله للقوة النارية التي لم تعرف الدول المتاخمة للدولة العثمانية عن هذا السلاح الفتاك بعد إن العلاقات البيزنطية ـ العثمانية هي رأس الحربة في سياسة العثمانيين نحو القسطنطينية، فاعتلاء العرش البيزنطي خلال هذه الفترة كان يتطلب موافقة ولو ضمنية من السلطان العثماني، لذلك عندما هرب ابن يوحنا الخامس من بورصة بعد وفاة ابوه، أثار هذا التصرف غضب السلطان بايزيد وقرر أن الوقت قد حان لمحاصرة القسطنطينية[92].

لم تكن هذه الذريعة الوحيدة للسلطان بايزيد، حيث ان سياسة البيزنطيين المتقلبة بين الولاء للعثمانيين وبين محاولتهم الفاشلة لاستقطاب روما الى جانبهم، قد حفزت بايزيد أكثر لأنه اعتبر ان البيزنطيين يحاولون الانقلاب عليه باستغلال أي فرصة[93]،ولكن السبب الحقيقي لتوجه بايزيد الاول لحصار القسطنطينية هو الحملة الصليبية التي دعا اليها مانويل الثاني[94]، والتي دخلت في مرحلة التحضير منذ سنة 1394 وتم الاتفاق عليها في 1395 بقيادة ملك المجر سيجسموند، وكان الهدف منها تطهير ولاشيا والاراضي البلغارية من الاتراك، وانقاذ القسطنطينية من الخطر العثماني الذي اصبح يحاصرها من كل أتجاه[95]، هذا من الجانب البري، اما من الجانب البحري فقد تقرر ان تتولى بحرية البنادقة كسر الخطوط البحرية للعثمانيين الموجودة في البسفور والدردنيل[96].

لم تكن الحملة الصليبية لغرض استفزاز العثمانيين بقدر ما كانت حملة انقاذ للقسطنطينية، فالعثمانيون قد سيطروا على الاراضي الرومانية والمجرية، لم يسمحوا بالدخول للأسوار البيزنطية او الخروج منها دون موافقتهم، كما أن انشاء بايزيد للقلعة المسماة (كوزلجة حصار) قد كان القشة التي قسمت ظهر الامبراطور البيزنطي[97].

عندما سمع السلطان بخبر الحملة توجه نحو شمال البلقان بجيوشه للتصدي لملك المجر[98]، الذي حشد جيشاً قوامه 130000 جندي، شاركت فيه ملكية المجر، ملكية فرنسا، ملكية انكلترا، امبراطورية المانيا، ملكية بولونيا، جمهورية البندقية، ملكية اسبانيا، ملكية آراكون، البابوية، فرسان رودس، ملكية النرويج،

ملكية اسكتلندا، فرسان توتون، جمهورية جنوة، وقد كان البابا هو صاحب الدعوة لهذه الحملة التي صرفت لأجلها الاف القطع النقدية لتجهيزها بالشكل المطلوب لإخراج العثمانيين وبشكل نهائي هذه المرة من البلقان[99]،وتلاقى الجيشان في اراضي بلغاريا بالقرب من مدينة نيقوبوليس[100] ونجح بايزيد بأنزال هزيمة ساحقة بالجيوش الصليبية المتحالفة، بعد ان فشل ملك المجر في اقناع قادته بالانتظار حتى يقوم العثمانيين بالهجوم[101]، ورغم التفوق العددي والتجهيز الممتاز للحملة لكن الجنود لم يكن احد منهم يجيد لغة الآخر، ويجهلون تكتيكات العثمانيين الحربية، كما غرق الكثير منهم بالنهر عندما حاصرهم بايزيد[102].

ومن نتائج هذه الهزيمة هو انتقام بايزيد من حكام شبه جزيرة المورة وتدميره لأراضيهم، كما أنه أرسل الى الخليفة المتوكل المقيم في القاهرة بعثة طالباً من ان يعطيه لقب سلطان الروم، فوافق السلطان المملوكي حامي الخليفة على طلب بايزيد لأنه كان يرى فيه حليفه الاوحد ضد المغول الذي كانوا يهددون المماليك والعثمانيين معا، وأن ما قام به بايزيد كان خطوة غير مسبوقة من العثمانيين برأينا، فهي المرة الاولى التي يحاول فيها سلطان عثماني أضفاء شرعية لحكمه وفتوحاته، فالخليفة العباسي كان في القاهرة وفتوحات العثمانيين كانت بعيدة كل البعد عنهم لذلك وافق السلطان المملوكي (حامي الخليفة) على طلب بايزيد، ونرى أن هذه خطوة ساذجة من المماليك ولكنهم كانوا مرغمين عليها بسبب الخطر المغولي فالعثمانيين فيما بعد سيتخذون الخطوة الاكبر في عهد سليم الاول لينتزعوا سلطة المماليك في القاهرة ويلقبوا انفسهم بلقب (خادم الحرمين الشريفين)، وهذا بحد ذاته سابقة تاريخية مهمة فهذا اللقب لم يتخذه حتى المماليك لأنه كان من المعروف ان الخلافة هي من قريش ولا يجوز لأي أحد اي ينسبها لنفسه، لذلك كان بايزيد بدهائه والمماليك بسذاجتهم قد مهدوا الطريق لسيطرة العثمانيين على الشرق فيما بعد و لم يكن حصار بايزيد للقسطنطينية حصاراً واحداً، فقد حاصرها أربع مرات، كانت الاولى في سنة 1394، وكان سبب الحصار هو تخلف بعض الامراء التابعين له في البلقان عند استدعائهم، فقد استقوى بعض الامراء بعد وفاة مراد الاول واعتقدوا ان العثمانيين قد فقدوا قوتهم بمقتل السلطان، وكان آل بايلولك اول المتخلفين، لذلك قام بايزيد بحصار القسطنطينية، وسيطر على تساليا وارسل قواته نحو المورة، لكنه آثر الانسحاب بسبب مناعة اسوار القسطنطينية، وضعف الاسطول البحري العثماني[103].

أما الحصار الثاني فكان في سنة 1395، وكان نتيجة حتمية للانتصارات العثمانية ومحاولات البيزنطيين الاستنجاد بروما، ومثل هذا الحصار استخدام استراتيجية جديدة وهي استراتيجية القلاع في الحصار، وشيد بايزيد اول قلعة على الضفة الآسيوية من البوغاز[104] والحصار الثالث، قد أعقب الانتصار العثماني في معركة نيقوبوليس، وانتشار سمعة العثمانيين في العالم الاسلامي، وتأكيد سيطرتهم على البلقان، لتصبح الخطوة المنطقية لهذا التفوق هو السيطرة على القسطنطينية لتصبح عاصمة للعثمانيين، لكن الحصار فشل هذه المرة ومجدداً بسبب ضعف الاساطيل العثمانية التي لم تستطع أن تقاوم الاساطيل البيزنطية المتحالفة مع اساطيل البندقية والتي كانت تمتلك الخبرة البحرية الكفيلة برد اي هجوم عثماني بحري[105]، كما أن انشغال بايزيد بالصراع مع الامراء الذين اعلنوا انفصالهم عن الدولة العثمانية عقب مقتل مراد الاول[106]، قد شغله عن ابواب القسطنطينية التي كانت كالسمكة العالقة في شباك العثمانيين وان الحصار الرابع للقسطنطينية كان الاخير والأطول في عهد بايزيد الاول، وقد كان خلال الفترة (1399- 1401)، وقد حاول الامبراطور مانويل الثاني بكل ما يمتلك من قوة ووسائل الدفاع عن مدينته، لان معونة البندقية وقوة اساطيلها لم تكن كافية للدفاع عن المدينة المحاصرة من كل الجهات[107] و حاول الامبراطور البيزنطي اتباع الوسائل الدبلوماسية مع بايزيد، فأقترح ان يدفع الجزية بمبلغ مضاعف عن ذي قبل، وكذلك انشاء جامع في القسطنطينية، لكن بايزيد ضحك عند سماعه لهذا الاقتراح من المبعوث البيزنطي[108] ثم قام بخطوة يائسة اخرى، وسافر الى انكلترا ثم الى الكثير من المدن الاوربية في رحلة استغرقت 13 شهراً[109]، لكن ورغم الآمال الكبيرة التي كان يعقدها الامبراطور على فرنسا لمساعدته، لكنه ومبعوثيه لم يحصلوا على شيء سوى الوعود المطمئنة والتي كانت وعوداً فارغة، فلم يحدث أن استجابت اي دولة لمساعدة القسطنطينية المحاصرة لسنوات من بايزيد الاول[110].

لم تنقذ الوعود القسطنطينية، لكن انقذها الاعصار القادم من الشرق المتمثل بالغزو المغولي الوحشي بقيادة تيمورلنك[111]وهو أحد احفاد جنكيز وكان يفوقه بسمعته المرعبة واعماله الدموية، وكان شعاره في الحياة (لا اسف ولا ندم)، لينطلق من آسيا مكتسحاً بالدماء والجثث بلاد فارس وروسيا وسيبيريا والصين والهند[112].

لقد كان تيمورلنك لا يختلف بالشيء الكثير عن بايزيد فكلاهما كان طموحاً يرغب بتوسيع دولته وكلاهما أتخذ من الدين الاسلامي وسيلة لتحقيق طموحاتهم التوسعية، وقد كان يرعى علماء الدين وخصوصا اصحاب الطريقة النقشبندية[113]،وأسس تيمورلنك امبراطورية واسعة تمتد من الصين الى مصر وتمتلك جيشاً من أضخم الجيوش في العالم، كما أن بايزيد كان لا يقل شأناً عنه، واثبت انتصاره في البلقان بأنه ثاني أكبر قوة في العالم بعد تيمورلنك[114] لا يمكن لأكبر قوتين في العالم ان تقيما علاقات حسنة من الناحية الجغرافية والسياسية، حتى لو كانتا تتكلمان اللغة ذاتها وتدينان بالدين والمذهب ذاته[115]، كما ان براعة بايزيد العسكرية اكثر من براعته السياسية، فقد كان مقاتلاً لا يشق له غبار لكنه كان سياسياً قليل الحكمة ونافذ الصبر، لذلك استفز تيمورلنك لمهاجمته[116]،وتعد العلاقات العثمانية – المملوكية أحد الاسباب التي عجلت بسقوط بايزيد، حيث كان تيمورلنك متخوفاً من قيام تحالف مملوكي – عثماني، لذلك كان سوء العلاقات الذي طرأ بعد قيام العثمانيين بالسيطرة على ملطية التابعة الى ولاية حلب المملوكية، قد أفشل اي تقارب بين الدولتين لرد الخطر المغولي[117].

رغم هذا لم يكن تيمورلنك راغباً بالقضاء على العثمانيين وذلك لعدة أسباب: فقد أصبح تيمورلنك كبيراً بالسن، كما أنه لم يرغب بأثارة مشاعر المسلمين ضده بمهاجمته دولة اسلامية[118]، وكان يتأمل ان يقر له بايزيد بالتبعية مثله مثل سلاطين الهند والمماليك، لكن بايزيد رد على رسالة تيمور باستهزاء، كما أن رأي قادة تيمورلنك واولاده واحفاده حتى بأنه لا يليق بهم مهاجمة دولة مسلمة سنية – حنفية وتحمل راية الجهاد الاسلامي[119].

كانت تصرفات بايزيد هي الدافع الاساسي لتوجه تيمورلنك نحوه، فقد كان فخوراً بانتصاراته في اوروبا ويرى أن لا جيش في العالم قادر على جيوشه، لكن تناسى قاعدة أساسية في الحروب وهي ان القسوة قد تولد الطاعة لكنها طاعة وقتية لا امان لها، فقد سلب بايزيد الكثير من الامراء ممتلكاتهم واراضيهم بدون الاخذ بنظر الاعتبار عن ردة الفعل التي ستولدها افعاله وهذا ما حصل فعلا في ساحة المعركة، فقد لجأ جميع الامراء التركمان الذين حرمهم بايزيد من عروشهم الى تيمور وانضموا بوحدات جيشهم الى جيشه، وكان هذا السبب هو السبب الرئيسي لهزيمة بايزيد عام 1402 في معركة انقرة[120] كما أن خطة تيمورلنك رغم بساطتها كانت عبقرية، فقد كان لا يرغب بمواجهة مباشرة مع قوات العثمانيين وانما اراد التوغل في الاراضي العثمانية ليزيد من ارتباك السلطان العثماني[121]،الذي ظلت قواته تطارد تيمورلنك وجيوشه الذين كانوا يدخلون للاراضي فيحصدون ثمارها ويرعون خيولهم ويسقونها، ثم يتبعوا سياسة الارض المحروقة، لتدخل الجيوش العثمانية في اراضيها لتجدها خاوية، لذلك مات الكثير الجنود العثمانيين من الجوع والعطش مما سبب لخسائر هائلة في صفوفه[122].

عندما اشتبك الجيشان كان الفارق في العدد كبيراً، فقد كانت قوات تيمورلنك البالغة من العدد 300000 مقاتل بينما كانت القوات العثمانية اقل من نصف هذا العدد، وقد كان وجود 32 فيلاً هندياً في المعركة قد أرعب خيول العثمانيين، وقد قاتل بايزيد وحرسه الخاص حتى قتلوا جميعاً[123]،ثم استلم بايزيد بعد مصرع حصانه هو وابنه موسى دون ابنائه الآخرين الذين فروا من ساحة المعركة بعد مقتل معظم جنودهم[124].

على الرغم من الفارق العددي الكبير إلا ان الخسائر في جيش تيمورلنك كانت كبيرة وقد بلغت 40000 مقاتل، وهي خسارة لم يسبق له ان تكبدها، فقد كان اقصى ما تكبده من خسائر في معاركه السابقة هو 6000 مقاتل، ورغم ان بعد المسافة بين قاعدة تيمورلنك وساحة المعركة، لكن الخطة العبقرية التي اتبعها وكذلك تسرع بايزيد في لجوئه الى الحرب المفتوحة بدل حرب العصابات كانت السبب الرئيسي في هزيمة العثمانيين[125] لقد كانت معركة انقرة من اكبر الكوارث التي واجهها التاريخ العثماني والتي أخرت نمو

الدولة العثمانية وفتوحاتها السريعة نصف قرن، كما اطالت من عمر الامبراطورية البيزنطية التي كانت على حافة الانهيار، لكن ورغم هذا استطاعت الدولة العثمانية ان تنهض مجدداً من رماد هزيمتها في عهد السلطان مراد الثاني.

ثانياً: حصار القسطنطينية في عهد مراد الثاني (1421 – 1451):

لقد واجهت الدولة العثمانية اضطرابات أهلية بعد مقتل بايزيد الاول، فقد كانت الحروب على العرش العثماني بين أبنائه قد شتت الدولة العثمانية وحولتها الى أشلاء ممزقة، وسرعان ما تفككت امبراطورية آل عثمان التي جرى تشييدها بجهود المؤسسين الأوائل مما يدل على ان بنيان الدولة كان غير راسخ القدم، وإن الشروط التي تنطبق على الدول لتحولها الى امبراطوريات لم تنطبق بعد على العثمانيين، الذين بدا كما لو أن التاريخ توقف بهم فجأة بعد هزيمة أنقرة فقد كان توجه بايزيد اصلاً نحو الشرق واصطدامه بتيمورلنك خطأً كارثياً، لأن الدولة العثمانية كانت دولة فتوحات متوجهة بسيوفها نحو الغرب والعالم المسيحي[126]، ولولا عدم اكتراث تيمورلنك بالأناضول وعودته الى سمرقند ليجهز حملته نحو الصين، لكانت هزيمة العثمانيين هذه هي الضربة القاضية فعلاً[127].

مرت الدولة العثمانية بعد بايزيد بمرحلة تسمى في التاريخ العثماني بدور الفترة، أذ بدأ أبناء بايزيد بقتل بعضهم بعضاً من اجل العرش[128]، ولربما هي صفة أكتسبها الابناء من والدهم الذي قتل اخاه الوحيد و أستمرت الخلافات لمدة 11 عام بين الاخوة الى أن تمكن محمد جلبي الذي سوف يتولى العرش العثماني تحت أسم محمد الاول[129]، من حصر السلطة بيديه، ولم يبقى الى جانبه سوى أخيه موسى الذي أرسله الى قتال اخوهم سليمان الذي تم قتله خارج اسوار أدرنة عام 1410، كما أكتسح موسى بلاد الصرب وحارب ملك المجر وانتصر عليه، وهذا ما شجعه على العصيان ضد أخيه محمد طمعاً بالعرش والاستقلال بالدولة في اوروبا، فحاصر القسطنطينية في سبيل فتحها لكن الامبراطور مانويل الثاني استنجد بالأمير محمد جلبي الذي أرسل جيوشه لمحاربة اخيه ورفع الحصار عن القسطنطينية، ثم قتل اخاه لينفرد بالعرش وينصب نفسه سلطاناً للدولة العثمانية[130].

عندما تولى مراد الثاني العرش العثماني لم يكن يتعدى الثامنة عشر من عمره، لذلك أستهان الامبراطور البيزنطي مانويل الثاني بشأنه لصغر سنه[131]، لكن ورغم صغر سنه كان هدفه الوحيد منذ تولى العرش هو استئناف حركة توسيع دولته ليعيدها الى امجادها الامبراطورية بعد ما فقدته بسبب الحروب الداخلية في عهد والده والاضطرابات والثورات الاجتماعية داخل حدود دولته[132]

ترك الرحالة برتراند ون دولار بروكيير، الذي قابل السلطان صورة ناطقة عنه، فقد وصف مراد الثاني بأنه كان حلو المعشر سخياً في توزيع الاراضي والاموال، وكان يكره الحرب كرهاً شديداً[133]، وقد تنازل عن العرش لأبنه مرتين وهذا الامر لم يكن نادراً وحسب بل فريداً أيضاً، فلم يتنازل عن العرش اي سلطان عثماني لأي أحد، كونهم كانوا شديدي الارتياب والحرص لدرجة قتل ابنائهم واخوتهم[134]، لكنه كان مؤمناً بأن تنازله لأبنه سيؤدي الى فتح القسطنطينية[135] واجه مراد الثاني منذ الايام لتوليه العرش مشكلة كبيرة، فقد أستغل مانويل الثاني امبراطور بيزنطة ورقة رابحة ليضغط بها على العثمانيين، أذ كان يعتقد بأن الدولة العثمانية قد أصبحت دولة ضعيفة بعد هزيمة انقرة [136]، لذلك عمد الى اشارة الفتن والاضطرابات في كاليبولي ليتم انتزاعها من الدولة العثمانية[137].

حيث كان الامير مصطفى بن بايزيد (أخو السلطان محمد جلبي الاول وعم السلطان مراد الثاني) قد طالب بالعرش في عهد اخيه محمد الاول، لكنه وبسبب هزيمته قام بالهروب واختفى في سالونيك، ليلجأ للإمبراطور البيزنطي الذي رفض تسليمه للسلطان ليستخدمه كورقة ضغط على العثمانيين[138] لذلك ارسل مانويل الثاني رسالة للسلطان مراد الثاني يخيره بين ارسال أخويه الى القسطنطينية كرهينة وفقاً لما اتفق عليه مع السلطان محمد الاول، وبين اطلاق سراح عمه مصطفى دوزجة ومساعدته على انتزاع

العرش[139]، فقام بتعزيزه بقوة بحرية بيزنطية ليحاصر كاليبولي ويسيطر عليها، ليتجه بعدها الى مواجهة مراد الثاني[140].

اعتقد الامبراطور البيزنطي إن مصطفى سوف يقضي على مراد الثاني ويوافق على الشروط التي اشترطها عليه بإرجاع الأراضي البيزنطية الواقعة على سواحل بحري مرمرة والبحر الأسود[141]، لكنه بعد ان حصل على ولاء الاناضول امراء الاناضول وعزز مكانته في الروملي، رفض تسليم كاليبولي للإمبراطور البيزنطي وفقاً للاتفاق السابق بينهما، مما أدى الى قطع المساعدات البيزنطية وتوجه الإمبراطور لنيل رضا السلطان[142]، للحصول على كاليبولي هذه المرة من مراد الثاني مقابل رفع المساعدة عن مصطفى ومساعدة السلطان في القضاء عليه، لكن السلطان رفض العرض[143].

واجه السلطان عمه في ميدان المعركة قرب الحدود وتمكن من هزيمته واعدامه[144]، وقد كانت هذه السياسة البيزنطية رغم إنها ظاهرياً تصب في مصلحة البيزنطيين، لكنها في الواقع كانت سياسة غير مدروسة بدقة ولم تراعي طبيعة العثمانيين، فقد أعتمد البيزنطيين على الخلافات العائلية وتشجيع الاطراف الناقمة على السلطان،متجاهلين أن نقمة هؤلاء على السلطان لأنهم كانوا طامعين بالعرش وسوف تكون خطوتهم الاولى بعد السيطرة على العرش هو تحقيق اطماعهم التوسعية، كما ان البيزنطيين تجاهلوا امراء الاناضول الثائرين على العثمانيين، وكان الاحرى ان تتم مساعدتهم في ثوراتهم، لكن سياستهم ادت بالتالي الى استفزاز السلطان العثماني مراد الثاني الذي كام يميل للسلم أصلاً ويكره الحروب وكان يريد التفرغ للمشاكل الداخلية لدولته.

عندما ادرك مانويل الثاني سوء سياسته والخطر الذي يهدده، اراد أن يقلل من غضب السلطان، فبعث اليه التهنئة بانتصاره على عمه ويعتذر له عما بدر من بيزنطة، لكن السلطان قد قرر مسبقاً الهجوم على القسطنطينية ولم يكترث بالرسل ولا اعتذاراتهم[145]، وقد كان أبنه يوحنا الثامن قد أوقعه في هذه الورطة أساساً، لان الامبراطور والسلطان لم يرغبا بالقتال بالنسبة لمانويل فبسبب كبر سنه وبالنسبة لمراد الثاني فبسبب كثرة مشاكله الداخلية وعدم رغبته بالحروب مع بيزنطة[146].

بدأ الحصار الثاني للقسطنطينية عام 1422 من 2 حزيران الى 6 ايلول[147]، وجمع لهذا الحصار جيشاً ضخماً مكوناً من عشرين الف مقاتل[148]،ولم ينقذ القسطنطينية سوى دفاعاتها الحصينة وعدم توفر آلات الحصار الكافية لدى مراد الثاني وقلة عدد المدافع في جيشه[149] لكن هذه الأسباب لم تكن بالحقيقة هي من دفع مراد الثاني للانسحاب، بل ثلاثة أسباب رئيسية، اولها الثورة التي قام بها أخوه مصطفى كانت أحد الأسباب الرئيسية لانسحابه، فقد جمع أخوه العديد من القوات حوله في نيقيا (أزنيق) يؤازره في ذلك بعض امراء الاناضول، لكن السلطان سرعان ما قام بهزيمته وقتله[150].

أما السبب الثاني فهو انتهاز امراء الطوائف الاناضولية لغياب السلطان عند حصار القسطنطينية واعلانهم التمرد في قسطموني وصاروخان ومنتشا وبلاد القرمان، فأضطر السلطان للتراجع واخماد تمردهم[151]. والسبب الثالث والاخير والأهم برأينا هو الهزائم التي تلقاها الجيش العثماني في البلقان على يد القوات المجرية بقيادة يوحنا هونيادي الترانسلفاني والتي بعثت فكرة الحروب الصليبية من جديد لطرد العثمانيين من البلقان[152]، فقد كان هذا القائد يمتلك جيشاً ممتازاً يضم صفوة المجريين والصربيين والولاش والايطاليين[153]، والذي تمكن من أحراز هزائم متكررة بالجيش العثماني، دفعت مراد الثاني الى طلب الصلح لتستعيد صربيا استقلالها وضمت المجر وولاشيا[154]، ليصبح نهر الدانوب الحد الفاصل بين املاك الدولة العثمانية وصربيا، والذي تنازل عن العرش لأبنه للمرة الاولى بسبب هذه الهزائم العثمانية وعدم رغبة السلطان الخوض في الحروب مجددا[155].

لم تستفد بيزنطة كما رأينا من انهيار الدولة العثمانية في عهد بايزيد الاول ولم تشجعها الكوارث التي حصلت للدولة العثمانية بعد معركة أنقرة، بل استمرت بأتباع سياسة تقليدية ضعيفة وغير مدروسة وهي مساندة هذا الامير العثماني ضد ذلك الامير لكي تشغل العثمانيين ببعضهم البعض، لكن بيزنطة تجاهلت

قاعدة اساسية في خطتها وهي أن العثمانيين سرعان ما يصل أحدهم للسلطة بعد ان يقتل اقرب الناس اليه سواء اخوته او ابنائه، فالعرش لا يقبل القسمة على أثنين، لذلك كانت قاعدة قتل الاخوة التي بدأ بها بايزيد واستمر عليها من جاؤوا بعده قاعدة وإن كانت وحشية لكنها ضمنت الاستقرار الفعلي للدولة العثمانية.

ولا يجب اهمال الدور المتخاذل الذي قام به العالم المسيحي تجاه القسطنطينية عندما تمت محاصرتها أكثر من مرة، والتي لولا الظروف التي عاشتها المنطقة لكانت قد سقطت منذ أن حاصرها بايزيد الاول، فلم تنفع مع الدول الاوربية توسلات الإمبراطور البيزنطي وطلبه المساعدة أكثر من مرة لأنفاذ القسطنطينية.

أن التركيز في سياسة بيزنطة والتفكير في معطياتها خلال تلك الفترة يثير العجب فقد كانت سياستها خاطئة وفي كل مرة تكون كارثية على القسطنطينية وتؤدي الى محاصرتها، فقد كان الافضل ان لا يتم استفزاز مراد الثاني الذي كان واضحاً انه ميالاً للسلم أكثر من غيره، بل انه في تاريخ العثمانيين لم يكن غيره سلطاناً مسالماً وكارهاً للحروب، وقد حاول منذ بداية عهده عدم الاصطدام بالقسطنطينية ولكن السياسة البيزنطية التي كان يقودها البلاط البيزنطي بقيادة يوحنا الثامن ابن الامبراطور مانويل الثاني، قد أفشلت التوافق العثماني – البيزنطي الذي رغب به السلطان به منذ البداية ليتفرغ لمشاكله، وحتى لو فرضنا جدلاً رغم عدم اقتناعي بهذا بأن مراد الثاني كان يريد التخلص من مشاكله ليتفرغ للقسطنطينية، فقد كان الافضل دعم الامراء الثائرين في الاناضول ضد الدولة العثمانية او دعم الحملات المتكررة المجرية في جبهة البلقان، بدل التوجه لدعم الامراء ومدعيين الاحقية بالعرش الذين سرعان ما انقلبوا على البيزنطيين كما رأينا.

الخاتمة

من خلال الاوضاع والاحداث الذي تناولها البحث نجد من الضرورة أن نشير الى حقائق هامة ادت الى التوسع العثماني نحو أراضي بيزنطة الآسيوية والاوربية منها إن الاوضاع التي مرت بها الدولة البيزنطية كالحروب الاهلية بين العائلة البيزنطية الحاكمة واعتماد الاباطرة على المرتزقة لحماية دولتهم والتعصب الديني لسكان بيزنطة الذي أفشل أي محاولة لتقارب بين بيزنطة وروما، مما ادى الى تخاذل اوروبا المسيحية عن مساعدتها.

أما العامل الثاني فهو الطبيعة العسكرية والقبلية العثمانية ونشاتها كإمارة حدودية قائمة على فكرة الغزو والجهاد، وطبيعة النشأة العثمانية في احضان دولة سلاجقة قونية مما ادى الى تبنيها الدين الاسلامي ومفاهيمه وربطها بفكرة الجهاد والغزو في سبيل الحصول على مزيد من الاراضي التابعة لهم، وكذلك نشأة الامارة على الحدود البيزنطية قد جعلها تأخذ الشكل العالم من بيزنطة في تنظيمها الاداري والعسكري والذي طوره العثمانيون فيما بعد ليأخذ شكلاً أقوى ينافس به الجيوش البيزنطية المتدهورة، من خلال فكرة الانكشارية التي كانت فكرة سابقة لعصرها، حملت معها كل مفاهيم القسوة والميكافيلية.

وقد لاحظنا من خلال البحث قلة أثر العامل الديني في الفتوحات العثمانية، فلم يكن اندفاع العثمانيين نحو الاراضي البيزنطية من اجل تحويل سكانها الى الاسلام بدليل أنهم لم يبالوا في اسلام الاهالي من عدمه ما داموا يدفعون الضرائب التي فرضوها عليهم، كما أن العثمانيون أنفسهم استخدموا سياسة عبقرية في التعامل مع البلاد المفتوحة من خلال السماح لهم بالبقاء على دينهم وبذلك كسبوا تعاطف هؤلاء الاهالي وعدم تذمرهم، على العكس من التعامل البيزنطي مع المدن التابعة لهم والذي تميز بتعصب ديني شديد جعل الناس يفضلون العثمانيين الليبراليين بتعاملهم مع باقي الاديان على البيزنطيين أصحاب العقلية المتحجرة والمتعصبة.

ولم يكن الضعف البيزنطي قاصراً على الجيش والادارة والاوضاع المتدهورة، بل تمثل بعامل أكثر خطورة وهو الصراعات الاهلية التي سمحت للعثمانيين للدخول الى القسطنطينية والتدخل بشؤونها الداخلية والعسكرية من خلال جيشهم الأكثر تنظيما وقوة وهو (الانكشارية)، الذي كان مفتاحهم للدخول الى

بيزنطة فقد كان الجيش الاقوى في اوروبا والمنطقة بأسرها، فلم تعرف اوروبا وقتها هذا التنظيم العسكري المحكم الشديد الولاء للسلطان لدرجة الموت، حيث كانت اوروبا الاقطاعية ما تزال وقتها تعتمد على الفرسان الذين لا يعتمد عليهم وقت المعركة ففي الهزيمة كانوا اول المنسحبين وفي النصر كانوا اول الناهبين ولم يعرفوا التكتيكات العسكرية والخطط المحكمة العثمانية ولا كيفية التعامل معها، ولم تكن الدولة العثمانية وقتها بالشكل الاسطوري الغير قابل للهزيمة، فقد كانت مجرد امارة من الامارات الاسلامية الكثيرة خدمتها الظروف السياسية والجغرافية والاجتماعية لتتفوق على باقي الامارات وتنتزع هذه الكمية الهائلة من الاراضي والمدن من الامارات الاسلامية المجاورة لها ومن الدولة البيزنطية.

وقد تعرضت الجيوش العثمانية رغم قوتها الى هزائم عديدة ومخزية على ايدي جيوش اوروبا المتوحدة، لكن بيزنطة و اوروبا لم يستمرا بهذه الانتصارات ولم يتم استثمارها بالشكل الصحيح، بسبب خلافات مادية او مذهبية، ولم تستغل بيزنطة الكارثة التي حلت بالدولة العثمانية بعد هزيمة انقرة، ولم تستطع سوى ارجاع بعض الاراضي والمدن القليلة التي سرعان ما استرجعها العثمانيون بسهولة، إذ لجأت بيزنطة الى استغلال الصراعات الاهلية داخل جسد الدولة العثمانية لتشغلها عن القسطنطينية، وكان بالأحرى دعم ومساندة الامراء الناقمين على الدولة العثمانية في الاناضول والتوحد معهم لمحاربة الدولة العثمانية.

لذلك نرى ان الظروف قد خدمت العثمانيين بشكل جيد فلم يستثمر أعدائهم فترات الضعف العثماني، ولم تكن هناك دولة قوية قادرة على مجابهتهم لأنهم كانوا فرسان أشداء في المعركة وحتى عندما بدأ نظام الفرسان يضعف وانعدمت قيمته بالحروب، لجأ العثمانيون الى فكرة الانكشارية التي خدمت دولتهم بشكل ممتاز، كما ان بيزنطة قد ارسلت لها الظروف اباطرة ضعيفي الشخصية مسلوبي الارادة ولا يمتلك إلا قلة منهم التفكير العسكري والسياسي السليم وفي المقابل حصلت الدولة العثمانية على شخصيات قيادية قديرة سياسياً وعسكرياً على مواجهة الظروف الصعبة وابتكار أساليب وخطط سابقة لعصرها للمحافظة على زخم التوسع السريع للدولة العثمانية.

الهوامش

---

(1) ارطغرل بك: يعده بعض المؤرخين ومنهم محمد فريد بك المحامي، المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية، والتي سميت فيما بعد على أسم ابنه عثمان، كان لقبه (الغازي)، وينحدر اصله الى القبيلة الاولى من قبائل اوغز ومن عائلة بكات التابعة لعشيرة قابي التي هاجرت من موطنها الاصلي بسبب الغزوات المغولية، للاستزادة ينظر: يلماز أوزتونا، موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، المجلد الاول، ترجمة عدنان محمود سلمان، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010، ص83

(2) خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار، ترجمة محمد. م. الأرناؤوط، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2002، ص 14

(3) أسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، نجران، 1998، ص 10

(4) محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967، ص 127

(5) أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، 1982، ص19

(6) المصدر نفسه.

(7) أسماعيل أحمد ياغي، المصدر السابق ص 10.

(8) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص 20

(9) محمد فؤاد كوبريلي، المصدر السابق، ص 137

(10) جون باتريك كينروس، القرون العثمانية، قيام وسقوط الامبراطورية التركية، ترجمة ناهد أبراهيم دسوقي،شركة الجلال للطباعة، الإسكندرية، 2002 ، ص 23.

(11) أسماعيل أحمد ياغي، المصدر السابق، ص 13.

(12) جون باتريك كينروس، المصدر السابق، ص 23.

(13) وديع أبو زيدون، تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس الى السقوط، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، عمان، 2011، ص 37.

(14) أحمد آق كوندز وآخرون، الدولة العثمانية المجهولة، 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، وقف البحوث العثمانية، اسطنبول، 2008، ص 51

(15) للاستزادة عن هذه المؤسسات ينظر: أحمد سالم سالم علي، استراتيجية الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2011، ص 22 – 23 – 24.

(16) المصدر نفسه، ص 57.

(17) محمد عاكف آيدين وآخرون، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي، المجلد الاول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، اسطنبول، 1999، ص 9.

(18) أحمد آق كوندز وآخرون، المصدر السابق، ص 54.

(19) أسماعيل أحمد ياغي، المصدر السابق، ص 26.

(20) عثمان الأول: وهو عثمان بن أرطغرل، ولد سنة 1251 وسميت الدولة العثمانية باسمه ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية، وتولى الحكم بعد وفاة ابيه أرطغرل بتأييد من الامير علاء الدين السلجوقي، ويذكر بعض المؤرخين أن عثمان أول من أسلم من قبيلة قابي التركمانية، لكن بعض المؤرخين ينكر هذا الرأي ويعتبر أباه أرطغرل هو اول من اسلم بينما يذهب البعض الاخر الى الرأي القائل بأن القبيلة كانت مسلمة أساساً عندما ارتحلت من موطنها الاصلي للاستزادة ينظر: نجم الدين بيرقدار، العثمانيون حضارة وقانون، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2014، ص 65 ، عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان، من اول نشأتهم حتى الآن، دار كلمات عربية، القاهرة، 2012، ص33 ، مصطفى أرمغان، التاريخ السري للإمبراطورية العثمانية، جوانب غير معروفة من حياة سلاطين بني عثمان، ترجمة مصطفى حمزة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2014، ص 11.

(21) زياد أبو غنيمة، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الاتراك، دار الفرقان، عمان، 1983، ص 19.

(22) للاستزادة عن الخلاف الديني بين روما وبيزنطة ينظر الى: إسحاق تاوضروس عبيد، روما وبيزنطة، من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين 869 – 1204، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1970، ص 21 – 39.

(23) طارق منصور، بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم، دراسات وبحوث، دار الفكر العربي، القاهرة، 2015، ص 46.

(24) وهي أحدى الأسر اليونانية الاقطاعية الكبيرة وسطع نجم هذه الاسرة في عهد الامبراطور يوحنا الرابع، وقد حكمت هذه الاسرة الامبراطورية البيزنطية في أسوأ عهودها وآخرها، وقد حكمت هذه الاسرة الامبراطورية خلال (1261 – 1453) عن طريق 13 امبراطوراً كان آخرهم قسطنطين الحادي عشر (1448- 1453) الذي قتل عند فتح القسطنطينية دفاعاً عن مدينته للاستزادة عن تاريخ هذه الأسرة وحكامها ينظر: طه خضر عبيد، تاريخ الدولة البيزنطية (324 – 1453)، دار الفكر، عمان، 2010، ص 222 – 226

(25) للاستزادة عن الحرب الاهلية البيزنطية التي شكلت سابقة خطيرة في التاريخ البيزنطي عندما اعتمد الاباطرة البيزنطيين على العثمانيين لمساعدتهم ينظر الى: ج. م. هسي، العالم البيزنطي، ترجمة رأفت عبد الحميد، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997، ص 182 – 188.

(26) جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، (284 – 1453)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص 283.

(27) أسماعيل أحمد ياغي، المصدر السابق، ص 16

(28) جوزيف نسيم يوسف، المصدر السابق، ص 283

(29) أسماعيل أحمد ياغي، المصدر السابق، ص 22.

(30) اندرونيكوس الثاني: حكم الامبراطورية البيزنطية بعد موت أبيه ميخائيل، وأشتهر عهده باستعمال المرتزقة للدفاع عن إمبراطورتيه، والتي كلفت بيزنطة اموالاً كثيرة وسببت سخطاً كبيراً من السكان البيزنطيين، بسبب اعمال الشغب والعنف التي يمارسها هؤلاء المرتزقة عند مرابطتهم في المدن، كما خلف عهده حرباً أهلية كانت سبباً رئيساً للضعف والانحلال الذي اصاب بيزنطة، وفقدانها لمعظم أراضيها لصالح العثمانيين في آسيا الصغرى وكذلك اوروبا، للاستزادة ينظر: طه خضير عبيد، المصدر السابق، ص 224.

(31) زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 150

(32) مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الاسلامي، العصر العثماني، دار اسامة، عمان، 2003، ص 14.

(33) أحمد سالم سالم علي، المصدر السابق، ص 26.

(34) محمد فريد المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، ص 41

(35) زبيدة عطا، المصدر السابق، ص 154.

(36) محمد عاكف آيدين وآخرون، المصدر السابق، ص 9.

(37) المصدر نفسه، ص 11.

(38) أحمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية، منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، أيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص 36.

(39) زبيدة عطا، المصدر السابق، ص 156.
(40) محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، الطبعة الثالثة، بيروت، 2013، ص 29.
(41) محمود محمد الحريري،تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، المكتب المصري، القاهرة، 2001، ص 38.
(42) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص 30.
(43) محمود محمد الحريري، المصدر السابق، ص 38.
(44)) زبيدة عطا، المصدر السابق، ص 156.
(45) اورخان: هو اورخان بن عثمان، ثاني سلاطين الامارة العثمانية، ولد سنة 1281، حكم العثمانيين بعد وفاة والده خلال الفترة (1326 – 1360)، ويعرف بالتاريخ العثماني بالسلطان الذي أنشا الانكشارية واول من عبر الروميلي واستولى على اراضي بيزنطة الاوربية للاستزادة ينظر: أبراهيم حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ديوان عموم الاوقاف، القاهرة، 1905، ص 38 ، عزتلو يوسف بك آصاف، المصدر السابق، ص 35 ، محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص 41.
(46) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص 30.
(47) محمود محمد الحريري، المصدر السابق، ص 39.
(48) طه خضر عبيد، المصدر السابق، ص 233.
(49) محمود محمد الحريري، المصدر السابق.
(50) محمود محمد الحريري، المصدر السابق، ص 39.
(51) الديوشيرمة أو الدفشرمة: يشير هذا المصطلح الى ضريبة كان العثمانيين يأخذونها من المدن المفتوحة وتسمى أيضاً بضريبة الابناء او ضريبة الدم للاستزادة ينظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،2000، ص 115.
(52) الانكشارية: وهي التسمية التي تطلق على القوات العسكرية التي شكلت العمود الفقري للجيش العثماني، وقد كانت بداية تأسيسها في عهد اورخان الاول لكنها أصبحت القوة الاساسية للمعارك في الجيش العثماني خلال عهد مراد الاول، لتصبح القوة الاكثر اهمية والتي يعتمد على قوتها مصير الدولة العثمانية، وقد نشأت أساساً من خلال نظام (الديوشيرمة) الذي اعتمد على اخذ الصبيان المسيحيين من اهاليهم في البلاد المفتوحة وتربيتهم تربية عسكرية وفكرية قوامها الولاء المطلق للسلطان العثماني، وقد أصبحوا في الفترات اللاحقة من أهم أسباب تدهور وضعف الدولة العثمانية للاستزادة ينظر: أماني بنت جعفر بن صالح المغازي، دور الانكشارية في أضعاف الدولة العثمانية، دار القاهرة، القاهرة، 2007، ص 47 – 98 ، كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة منير البعلبكي و نبيه أمين فارس، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، بيروت، 1968، ص 413 – 415.
(53) عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الاسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 37.
(54) كارل بروكلمان، المصدر السابق، ص 414.
(55) المصدر نفسه.
(56) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص 34.
(57) محمد عاكف آيدين وآخرون، المصدر السابق، ص 12.
(58) علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الاسلامية، بور سعيد، 2001، ص56.
(59) للاستزادة عن هذه الحرب واسبابها ينظر الى: أ. دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003 ص 83، طه خضر عبيد، المصدر السابق، ص 234.
(60) زبيدة عطا، المصدر السابق، ص 159.
(61) يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ص 96
(62) وديع ابو زيدون، المصدر السابق، 37.
(63) المصدر نفسه.
(64) خليل اينالجيك، المصدر السابق، ص 23.
(65) للاستزادة حول محاولات الاوربيين السيطرة على بيزنطة وسياسة البيزنطيين تجاه هذا ينظر: رأفت عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة،عين للدراسات،القاهرة،1997،ص103-141.
(66) مراد الاول: هو مراد بن اورخان ثالث سلاطين الدولة العثمانية، تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة 1360، ولد سنة 1326، يلقب في كتب التاريخ العثماني بالسلطان الشهيد، قام بفتح 11 قلعة و18 مدينة منها مدينة ادرنة التي سيتخذها عاصمة لدولته، توفي على يد أحد الجنود الصرب الجرحى، عندما كان مراد الاول يتفقد ساحة أحدي المعارك التي أنتصر فيها والتي ستأتي على ذكرها في هذا المحور للاستزادة ينظر: أورخان محمد علي، روائع من التاريخ العثماني، دار كلمة، المنصورة، 2008، ص 16.

(67) للمقارنة بين الآراء العديدة لنشأة الانكشارية وطريقة تأسيسها ينظر: إيرينا بتروسيان، الانكشاريون في الامبراطورية العثمانية، مركز جمعة ماجد للثقافة والتراث، دبي، 2006، ص 9 ، محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، كيف نشأت وارتقت السلطنة العثمانية والى أي حد بلغت عظمتها، مكتبة صادر، بيروت، 1925، ص 149 ، أحمد جودت، تاريخ جودت، ترجمة عبد القادر افندي الدنا، المجلد الاول، مطبعة جريدة بيروت، 1890، ص 39- 40 ، أحمد فؤاد المتولي، المصدر السابق، ص 56.

(68) أورخان محمد علي، المصدر السابق، ص 17.

(69) نزار قازان، سلاطين بني عثمان، بين قتال الأخوة وفتنة الإنكشارية، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1992، ص 25.

(70) محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة، 1994، ص 15.

(71) كارل بروكلمان، المصدر السابق، ص 416.

(72) محمود محمد الحريري، المصدر السابق، ص49.

(73) خليل اينالجيك، المصدر السابق، ص 24.

(74) محمود محمد الحريري، المصدر السابق، ص 50

(75) محمود محمد الحريري، المصدر السابق.

(76) المصدر نفسه.

(77) تيسير جباره، تاريخ الدولة العثمانية، (1280 – 1924)، جامعة القدس المفتوحة، رام الله، 2015، ص 38.

(78) محمود محمد الحريري، المصدر السابق، ص 51.

(79) نجم الدين بيرقدار، المصدر السابق، ص 79.

(80) محمود محمد الحريري، المصدر السابق، ص 52.

(81) زبيدة عطا، المصدر السابق، ص 166.

(82) كارل بروكلمان، المصدر السابق، ص 416.

(83) محمود محمد الحريري، المصدر السابق، ص 54.

(84) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص 50.

(85) محمد عاكف آيدين واخرون، المصدر السابق، ص 16.

(86) يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ص 100.

للاستزادة عن المعركة وتفاصيلها ينظر: محمود محمد الحريري، المصدر السابق، ص 61 ، سعيد أحمد برجاوي، الامبراطورية العثمانية، تاريخها السياسي والعسكري، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص 37.

(87) محمود محمد الحريري، المصدر السابق، ص 63.

(88) المصدر نفسه.

(89) للاستزادة ينظر: محمد أسامة زيد، منهل الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان، دار أبن رجب، القاهرة، 2012.

(90) بايزيد الاول: هو بايزيد بن مراد رابع سلاطين الدولة العثمانية خلال الفترة (1389- 1403)، لقبه بيلدرم اي الصاعقة او البرق وسبب ذلك كان ضرباته السريعة كالبرق وكذلك سرعته الشديدة في حملاته العسكرية التي كانت تنزل على اعدائه كالصاعقة، ويعد تاريخ حياته من المواضيع المثيرة للجدل في التاريخ العثماني، اذ يعده أحمد جودت في كتابه تاريخ جودت اول سلطان ينصرف نحو حياة اللهو والبذخ وشرب الخمر وكذلك يعده سبباً في الانهيار الذي حصل للدولة العثمانية بعد مقتله، كذلك يعده المؤرخ ابراهيم بك حليم في كتابه التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، السبب في اغضاب تيمور لنك ودفعه نحو الاراضي العثمانية بعد ان رفض تسليمه حكام الولايات الذين التجأوا عنده، لكن ورغم المآخذ الكثيرة التي اوردها المؤرخون في تاريخ هذا السلطان، لكن عهده حمل صفة جديدة عندما يتعلق الامر بالقسطنطينية، فقد أستطاع هذا السلطان محاصرة القسطنطينية وكاد ان يتمكن من فتحها لولا الغزو المغولي، وهو أنجاز لم يحققه اي سلطان عثماني قبله، ورغم ملامح القوة التي حملها عهده لكنه لم يستطع الصمود امام الاعصار القادم من الشرق المتمثل بالمغول، وكذلك لم تستطع دولته الصمود بعد وفاته أذ غرقت في الفوضى السياسية التي اعقبت مقتله ولم تتمكن من النهوض مجدداً إلا في عهد السلطان مراد الثاني الذي تمكن النهوض بالدولة العثمانية مجدداً للاستزادة ينظر: سعيد أحمد برجاوي، المصدر السابق، ص 38 ، ابراهيم حليم، المصدر السابق، ص 47 ، عزتلو يوسف بك آصاف، المصدر السابق، ص 41 ، أحمد جودت، المصدر السابق، ص 40 ، مصطفى أرمغان، المصدر السابق، ص 27 ، محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص 48.

(91) مراد الثاني: هو مراد بن محمد جلبي، وهو سادس سلاطين الدولة العثمانية حكم خلال الفترة (1421- 1451)، كان السلطان الذي أستطاع ارجاع الدولة العثمانية الى عصور مجدها الاول بعد ان انهارت عقب مقتل السلطان بايزيد الاول، وانتهج سياسة استرجاع ما فقدته الدولة العثمانية من اراضي بسبب المغول او بسبب الصراعات الداخلية التي أعقب وفاة جده بايزيد الاول، وقد تمكن من محاصرة القسطنطينية أيضاً ولكن الظروف الداخلية

لدولته دفعته للانسحاب للاستزادة ينظر: محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص 85 ، محمود محمد الحويري، المصدر السابق، ص 105 ، أحمد سالم سالم علي، المصدر السابق، ص 47.

(92) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص 55.

(93) أحمد جودت، المصدر السابق، ص 130.

(94) جان كلود شينيه، تاريخ بيزنطة، ترجمة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2008، ص 122.

(95) جون هالدون، بيزنطة في حرب، ترجمة فتحي عبد العزيز محمد، دار ناشري، الكويت، ص 82.

(96) مانويل الثاني: وهو الابن الثاني للإمبراطور يوحنا الخامس، حكم بيزنطة خلال الفترة (1391 – 1425)، ورغم انه تولى حكم بيزنطة في أسوأ فتراتها لكنه حظى باحترام الشعب البيزنطي وكذلك السلطان بايزيد، وقد أصبحت الدولة البيزنطية في عهده لا تملك سوى القسطنطينية فالعثمانيين قد استولوا على كل ما حولها للاستزادة ينظر: دونالد نيكول، المصدر السابق، ص 146، ج. م. هسي، المصدر السابق، ص 190.

(97) محمود سعيد عمران، الامبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة العربية، بيروت، 2002، ص 311.

(98) المصدر نفسه.

(99) يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ص 106.

(100) أحمد سالم سالم علي، المصدر السابق، ص 40.

(101) يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ص 107.

(102) للاستزادة عن هذه المعركة ومجرياتها ينظر: يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ص 106 - 108، نيقولا فاتان، تاريخ الدولة العثمانية، الجزء الاول، أشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر، القاهرة، 1993، ص 67

(103) أحمد فؤاد متولي، المصدر السابق، ص 76.

(104) يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ص 108.

(105) كارل بروكلمان، المصدر السابق، ص 420.

(106) خليل اينالجيك، المصدر السابق، ص 29.

(107) يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ص 106.

(108) خليل اينالجيك، المصدر السابق، ص 30.

(109) للاستزادة عن موضوع امراء الاناضول المنفصلين عن الدولة العثمانية والذين شغلوا بايزيد الاول بتمرداتهم اكثر من مرة عن القسطنطينية ينظر: محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص 49 – 50.

(110) سعيد أحمد برجاوي، المصدر السابق، ص43.

(111) برناردين كلتي، فتح القسطنطينية، ترجمة شكري محمود نديم، دار التضامن، بغداد، 1962، ص 67.

(112) يلماز اوزتونا ، المصدر السابق، ص 108.

(113) سعيد أحمد برجاوي، المصدر السابق، ص 44.

(114) تيمورلنك: وهو قائد عسكري اوزبكي، تمكن من تأسيس السلالة التيمورية ويلقب (الاعرج) حيث يعني اسمه المكون من مقطعين الحديد الاعرج فكلمة (لنك) تعني اعرج وكلمة (تيمور) تعني بالاوزبكية الحديد، اجتاحت حملاته اصقاع عديدة من اسيا وتمكن من اسر السلطان العثماني وهزيمته في معركة انقرة الشهيرة للاستزادة ينظر: محمد أسد الله صفا، تيمورلنك، دار النفائس، بيروت، 1990، ص 205، علي محمد الصلابي، المصدر السابق، ص 68.

(115) برناردين كلتي، المصدر السابق، ص 70.

(116) علي محمد محمد الصلابي، المصدر السابق، ص 68.

(117) يلماز اوزتونا ، المصدر السابق، ص 109.

(118) المصدر نفسه.

(119) خليل اينالجيك ، المصدر السابق، ص 30.

(120) محمد أسد الله صفا ، المصدر السابق، ص 206.

(121) يلماز اوزتونا ، ص 109.

(122) المصدر نفسه، ص 110.

(123) يلماز اوزتونا ، المصدر السابق، ص 110.

(124) محمد أسد الله صفا ، المصدر السابق، ص212.

(125) علي محمد محمد الصلابي، المصدر السابق، ص69.

(126) برناردين كلتي، المصدر السابق، ص 70

(127) سعيد أحمد برجاوي، المصدر السابق، ص 47.

(128) يلماز اوزتونا ، المصدر السابق، ص 110.

(129) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص 58.

[130] محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص 73.
[131] المصدر نفسه، ص 75.
[132] محمد الاول: هو محمد بن بايزيد، تولى العرش خلال (1413 – 1421)، وحصل جدال حول هذا السلطان فيما ان كان خامس سلاطين العثمانيين ام لا، لأن كل اخوته خلال فترة معينة بعد مقتل ابيهم اعلنوا انفسهم سلاطين للدولة العثمانية، لكن يعتقد اغلب المؤرخون بأن تولى اخوته للعرش العثماني كان في فترة مضطربة ولم يلبثوا مدة طويلة على العرش للاستزادة ينظر: محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص 52 ، ابراهيم حليم، المصدر السابق، ص 51 ، نيقولا فاتان، المصدر السابق، ص 82.
[133] سعيد أحمد برجاوي، المصدر السابق، ص 55.
[134] عبد السلام عبد العزيز فهمي، السلطان محمد الفاتح، فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، دار القلم، دمشق، 1993، ص 18.
[135] برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الاسلامية، تعريب سيد رضوان علي، الدار السعودية، الرياض، 1982، ص 44.
[136] نيقولا فاتان، المصدر السابق، ص 90.
[137] إيلبير اورتايلي، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2012، ص 71.
[138] جان البجوونج،بصمات خالدة في التاريخ العثماني،ترجمة عبير الشناوي،دار النيل،القاهرة،2001،ص12
[139] أحمد آق كوندز وآخرون، المصدر السابق، ص 109.
[140] علي محمد الصلابي، السلطان محمد الفاتح، دار الايمان، الاسكندرية، 2001، ص 93.
[141] نجم الدين بيرقدار، المصدر السابق، ص 96.
[142] سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية، النشأة الازدهار، وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2010، ص 149.
[143] نجم الدين بيرقدار، المصدر السابق، ص 96.
[144] محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص 86.
[145] سيد محمد السيد محمود، المصدر السابق، ص 149.
[146] محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص 86.
[147] نجم الدين بيرقدار، المصدر السابق، ص 96.
[148] محمود محمد الحويري، المصدر السابق، ص 108.
[149] زبيدة عطا، المصدر السابق، 181.
[150] خليل اينالجيك ، المصدر السابق، ص 34.
[151] محمود محمد الحويري، المصدر السابق، 108.
[152] زبيدة عطا، المصدر السابق، ص 181.
[153] سعيد أحمد برجاوي، المصدر السابق، ص 63.
[154] نجم الدين بيرقدار، المصدر السابق، ص 97.
[155] كارل بروكلمان، المصدر السابق، ص 427.، أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص 64.، مفيد الزيدي، المصدر السابق، ص 19.

المصادر والمراجع

ثانياً: الكتب العربية والمترجمة

1- أحمد آق كوندز وآخرون، الدولة العثمانية المجهولة، 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، وقف البحوث العثمانية، اسطنبول، 2008.

2- أحمد جودت، تاريخ جودت، ترجمة عبد القادر أفندي الدنا، المجلد الاول، مطبعة جريدة بيروت، 1890.

3- أحمد سالم سالم علي، استراتيجية الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2011.

4- أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، 1982.

5- أحمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية، منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، أيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.

6- أبراهيم حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ديوان عموم الاوقاف، القاهرة، 1905.

7- أ. دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

8- إسحاق تاوضروس عبيد، روما وبيزنطة، من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين 869 – 1204، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1970

9- أسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، نجران، 1998.

10- أماني بنت جعفر بن صالح المغازي، دور الإنكشارية في أضعاف الدولة العثمانية، دار القاهرة، القاهرة، 2007.

11- أورخان محمد علي، روائع من التاريخ العثماني، دار كلمة، المنصورة، 2008.

12- إيرينا بتروسيان، الانكشاريون في الامبراطورية العثمانية، مركز جمعة ماجد للثقافة والتراث، دبي، 2006.

13- إيلبير اورتايلي، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2012.

14- برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الاسلامية، تعريب سيد رضوان علي، الدار السعودية، الرياض، 1982.

15- برناردين كلتي، فتح القسطنطينية، ترجمة شكري محمود نديم، دار التضامن، بغداد، 1962.

16- تيسير جباره، تاريخ الدولة العثمانية، (1280 – 1924)، جامعة القدس المفتوحة، رام الله، 2015.

17- جان البجوونج، بصمات خالدة في التاريخ العثماني، ترجمة عبير الشناوي، دار النيل، القاهرة،2001.

18- جان كلود شينيه، تاريخ بيزنطة، ترجمة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2008.

19- ج. م. هسي، العالم البيزنطي، ترجمة رأفت عبد الحميد، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997.

20- جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، (284 – 1453)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005.

21- جون باتريك كينروس، القرون العثمانية، قيام وسقوط الامبراطورية التركية، ترجمة ناهد أبراهيم دسوقي، شركة الجلال للطباعة، الإسكندرية، 2002.

22- جون هالدون، بيزنطة في حرب، ترجمة فتحي عبد العزيز محمد، دار ناشري، الكويت.

23- خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار، ترجمة محمد. م. الأرناؤوط، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2002.

24- رأفت عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة،عين للدراسات، القاهرة،1997.

25- زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، دار الفكر العربي، القاهرة.

26- زياد أبو غنيمة، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الاتراك، دار الفرقان، عمان، 1983.

27- سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية، النشأة الازدهار، وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2010.

28- سعيد أحمد برجاوي، الامبراطورية العثمانية، تاريخها السياسي والعسكري، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1993.

29- طارق منصور، بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم، دراسات وبحوث، دار الفكر العربي، القاهرة، 2015.

30- طه خضر عبيد، تاريخ الدولة البيزنطية (324 – 1453)، دار الفكر، عمان.

31- عبد السلام عبد العزيز فهمي، السلطان محمد الفاتح، فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، دار القلم، دمشق، 1993

32- عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الاسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.

33- عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان، من اول نشأتهم حتى الآن، دار كلمات عربية، القاهرة، 2012.

34- علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الاسلامية، بور سعيد، 2001.

35- السلطان محمد الفاتح، دار الايمان، الاسكندرية، 2001

36- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة منير البعلبكي ونبيه أمين فارس، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، بيروت، 1968.

37- محمد أسامة زيد، منهل الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان، دار أبن رجب، القاهرة، 2012.

38- محمد أسد الله صفا، تيمورلنك، دار النفائس، بيروت، 1990.

39- محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، كيف نشأت وارتقت السلطنة العثمانية والى أي حد بلغت عظمتها، مكتبة صادر، بيروت، 1925.

40- محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة، 1994.

41- محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، الطبعة الثالثة، بيروت، 2013.

42- محمد عاكف آيدين وآخرون، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي، المجلد الاول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، اسطنبول، 1999.

43- محمد فريد المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت.

44- محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967.

45 - محمود سعيد عمران، الامبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة العربية، بيروت، 2002.

46- محمود محمد الحريري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، المكتب المصري، القاهرة، 2001.

47- مصطفى أرمغان، التاريخ السري للإمبراطورية العثمانية، جوانب غير معروفة من حياة سلاطين بني عثمان، ترجمة مصطفى حمزة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2014.

48- مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الاسلامي، العصر العثماني، دار اسامة، عمان، 2003.

49- نجم الدين بيرقدار، العثمانيون حضارة وقانون، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2014.

50 - نزار قازان، سلاطين بني عثمان، بين قتال الأخوة وفتنة الإنكشارية، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1992.

51- نيقولا فاتان، تاريخ الدولة العثمانية، الجزء الاول، أشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر، القاهرة، 1993.

52- وديع أبو زيدون، تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس الى السقوط، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، عمان، 2011.

أولا: الموسوعات:

1- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.

2- يلماز أوزتونا، موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، المجلد الاول، ترجمة عدنان محمود سلمان، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010.

3- مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الاسلامي، العصر العثماني، دار اسامة، عمان، 2003.